دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	ملامح التغير في الزي التقليدي للمرأة : دراسة حالة للبرقع في مجتمع الإمارات
المصدر:	الثقافة الشعبية
الناشر:	جامعة المنصورة - كلية الاداب - المركز الحضاري لعلوم الإنسان والتراث الشعبى
المؤلف الرئيسي:	أحمد، سعاد عثمان
المجلد/العدد:	ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1998
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	1145 - 1238
رقم MD:	165491
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التغير الاجتماعي، الامارات العربية المتحدة، العادات والتقاليد، المرأة الاماراتية، الأزياء الشعبية، البرقع، التغير الاقتصادي، الثقافة الشعبية، القبائل العربية، البدو
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/165491

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جامعة المنصورة - كلية الآداب
المركز الحضارى لعلوم الإنسان
والتراث الشعبى

ملامح التغير فى الزى التقليدى للمرأة
دراسة حالة للبرقع فى مجتمع الإمارات

الأستاذة الدكتورة

سعاد عثمان أحمد

أستاذ بقسم الاجتماع بكلية البنات
جامعة عين شمس

الثقافة الشعبية دورية محكمة يصدرها المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى
بالتعاون مع كلية الآداب - جامعة المنصورة اكتوبر ١٩٩٨

ملامح التغير فى الزى التقليدى للمرأة
دراسة حالة للبرقع فى مجتمع الإمارات

الأستاذ الدكتورة / سعاد عثمان أحمد

أستاذ بقسم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس

مقدمـــة :-

تدور الدراسة حول بعض ملامح التغير فى الزى التقليدى للمرأة فى مجتمع الإمارات مع دراسة حالة للبرقع كأحد مكملات هذا الزى وأحد عناصر الثقافة المادية ، حيث تكشف دراسته عن التفاعل مع الواقع الايكولوجى ، ومع مختلف الظروف السياسة ، والاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية للمجتمع .

وقد اتخذت الدراسة من أحد أحياء مدينة العين التى تعد ثانى مدن إمارة أبو ظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة مجالاً مكانياً للدراسة ، فى محاولة لإلقاء الضوء على مختلف قطع الزى التقليدى للمرأة ، مع التركيز على أشكال البراقع ، وأجزائها ، ووظائفها ، والتغيرات التى طرأت عليها ، وأهم عوامل تغيرها ، وتأثير الحياة فى مجتمع محلى واحد على الاختلاف فى تفاصيلها ، إلى جانب التعرف على طرق انتاجها ، وما تحمله من رموز ، وما تعكسه من اتصال ثقافى بالحضارات المجاورة .

وتنقسم الدراسة إلى خمسة أجزاء يتناول الأول منها الأهمية الموضوعية ، والنظرية والتطبيقية للدراسة ، ويتناول الجزء الثانى الإطار المنهجى حيث يتضمن مشكلة البحث، وتساؤلاته والإعداد للدراسة ، واختبار المجتمع ، والعينة إلى جانب أهم المناهج

المستخدمة كالمنهج الأنثروبولوجى ، والفولكلورى ،. والمنهج الايكولوجى ، ومنهج دراسة المجتمع المحلى ، وأيضا بعض وسائل جمع المادة الميدانية وفى مقدمتها الملاحظة ، المقابلة المتعمقة ، ودليل العمل الميدانى ، والتصوير ، والرسم . ويخصص الجزء الثالث للإطار الإيكولوجى والاجتماعى حيث يقدم لمحة عن مجتمع البحث ، ثم أهم ملامح الحياة الاجتماعية يليها بعض ملامح الزى التقليدى للمرأة وأهم مكملاته . ويعرض الجزء الرابع لنتائج دراسة الحالة عن البرقع الذى تم اختياره موضوعا للدراسة المتعمقة نظرا لكونه من أكثر قطع الزى تميزاً . وظهوراً ، وتحديداً إلى جانب ما أكدته الشواهد الميدانية من قابليته للتغير السريع . حيث يتناول هذا الجزء البرقع فى الدراسات السابقة ، وما قدمه الواقع الميدانى عن مسمياته ، وماهيته وخصائصه وتغير وظائفه ، ومناسبات ارتدائه ورمزيته ، وما إذا كانت هناك أغطية أخرى لوجه المرأة ، إلى جانب التعرف على طرق انتاجه ، وصيانته ، وأسعاره . ويقدم الجزء الخامس والأخير أهم استخلاصات الدراسة عن البرقع .

أولاً : أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة فى كونها محاولة لرؤية البرقع فى سياقه الثقافى العام ، بمعنى رؤيته فى إطار الزى التقليدى للمرأة وفى إطار مجتمع الدراسة بوجه عام . كما تكتسب الدراسة أهميتها من كونها تقع ضمن ميدان الثقافة المادية الذى يعد أحد ميادين التراث الشعبى وعلم الفولكلور .

ومن هنا تنبع أهمية الموضوع من أهمية التراث الشعبى وهو ما سوف نحاول إلقاء الضوء عليه فى الفقرات التالية . لما كان التراث الشعبى مرآة تنعكس عليها أحداث وظروف المجتمع ، ولما كانت ميادينه متسعة باتساع مجالات الحياة المادية واللامادية ، لذا فالتراث الشعبى معين وكنز لاينضب يفتح أبوابه للدراسين ، والمهتمين لينهلوا منه ،

ويحافظوا عليه ويقدموا من خلال دراسته وفهمه اسهاماتهم النظرية والمنهجية والتطبيقية . وعلى مستوى أكثر خصوصية تتضح أهمية ميدان الثقافة المادية كأحد ميادين التراث الشعبى وعلم الفولكلور فى الاعتبارات التالية : -

- يمثل تراث الانسان المادى جزءا من الإنسان لاينفصل عنه ، فلا يمكن فهم الإنسان دون فهم ثقافته بشقيها المادى واللامادى .

- إن الثقافة المادية تملك فى ذاتها مبررات قوية تحتم علينا الاهتمام بها عن طريق جمعها ودراستها ، وحفظها بكل صور الحفظ سواء من خلال المتاحف أو الارشيفات.

- يمثل الاهتمام بالثقافة المادية تجاوباً إيجابياً مع الحركة العالمية لعلم الفولكلور ، خاصة وأن المكتبة الفولكلورية العربية قد ركزت جل اهتمامها على الجوانب اللامادية كالأدب الشعبى ، والمعتقدات والمعارف ، والعادات والتقاليد بل وبعض الفنون الشعبية مع إغفال واضح للعناصر المادية الشعبية .

- إن قابلية الثقافة المادية للاختفاء من على مسرح الحياة الشعبية تدعونا إلى توجيه أقصى الاهتمام لرصد تحولاتها ، ومتابعتها قبل اندثارها . (محمد الجوهرى ، ١٩٩٣ : ١٦ - ١٧) .

هذا ، وتمكن أهمية موضوع الأزياء التقليدية فى كونها تعد خطاباً ثقافياً هاماً يجسد الثقافة ، ويوصل كما هائلاً من المعلومات عن رموزها . فالزى يعكس جماليات المجتمع ، وأخلاقياته ، وقيمه السائدة خاصة مايتعلق منها بالاحتشام والتخفى أو اللا إحتشام والسفور . إلى جانب أن نقوش الأزياء وزينتها هى إشارات تعكس المكانة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . (عصام الشيخ قاسم ، ١٩٩٤ : ٤٨) كما أنه

يمكن الاستدلال من خلاله على الانتماء الطبقى ، وطبيعة العمل ، والجنس ، والعمر ، والبيئة الجغرافية ، والعزلة أو الاتصال بين الشعوب والثقافات (ناصر حسين العبودى ، ١٩٨٧ : ١٠٠) .

وبالإضافة إلى ماسبق ، يستمد موضوع البرقع أهميته من كونه ظاهراً ، ومحدداً ، ومن قابليته للتغير السريع ، واندثار بعض أشكاله مما يحتم علينا الاهتمام به ودراسته ، ورصد تغيراته . وقد نبه الباحثة إلى ذلك أنها عملت أستاذا زائراً بجامعة الإمارات العربية المتحدة خلال الفصل الدراسى الثانى للعام الجامعى ٩٣ - ١٩٩٤م ، ثم عملت فى نفس الجامعة فى العام الدراسى ٩٥ - ١٩٩٦م، وقد لاحظت خلال تلك الفترة أن مساحة البرقع آخذة فى التناقص مما دعه لديها الرغبة فى رصد الموضوع ودراساته تمهيداً لدراسة أو دراسات أخرى مقارنة تسهم فى الوقوف على مزيد من ملامح التغير عبر الزمان والمكان .

وتنطلق الأهمية النظرية للدراسة من فكرة أن أيا من النماذج النظرية تعد قاصرة وحدها عن فهم واقع أى ظاهرة مهما كان حجمها ، وبالتالى استعانت الدراسة المتعمقة للبرقع فى مرحلتى جمع المادة ، والتحليل والتفسير بعدد من التصورات والقضايا النظرية المختلفة من نظريات شاع استخدامها فى مجال علم الفولكلور مثل النظرية الوظيفية ، ونظرية الثقافة الشعبية ، ونظرية الثقافة الجماهيرية إلى جانب نظرية التغير . فقد لعبت النظرية الوظيفية دوراً هاما فى مجال علم الفولكلور من خلال التعرف على كيفية أداء التراث الشعبى - أو أحد عناصره - وظيفته فى الثقافة . ومن هنا حرصت الباحثة على التعرف على وظيفة البرقع ، ووظيفة كل جزء من أجزائه سواء من خلال ماقدمته الدراسات السابقة ، أو ماقدمه الواقع الميدانى ، واختلاف تلك الوظائف عبر الزمان والمكان .

ولفتت نظرية الثقافة الشعبية خاصة نموذج «جونز» الانتباه إلى دراسة عناصر الثقافة المادية المصنوعة يدوياً ، والمخصصة للاستخدام النفعى عن طريق الاهتمام بالاقتصاديات المحلية للإنتاج والتوزيع والمؤثرات الخارجية من ناحية الذوق والطلب التى تؤثر على المجتمع المحلى الشعبى ، والعوامل الإيكولوجية التى تتحكم فى المواد الخام ، والأساليب التقليدية التى يتبعها الفنان فى إنتاج سلعته ، حيث حاول «جونز» فى نموذجه هذا أن يز]ذ فى الاعتبار كل عنصر يدخل فى العملية الفنية الشعبية سواء كان عنصرا تاريخياً ، أو فردياً ، أو ثقافياً ، أو تقليدياً ، أو جمالياً ، أو اقتصادياً ، أو بيئاً . (دورسون ، ١٩٧٢ : ١٤٧) . ومن هنا ، فإن ما قدمه النموذج النظرى قد تم أخذه فى الاعتبار فى دراستنا الراهنة ، حيث التعرف على طرق انتاج البرقع ، وتسويقه ، وما طرأ عليها من تغيرات وفقاً لمتغيرات السن ، والذوق العام ، وتأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية وغيرها فى ذلك .

وكان لآراء مدرسة الثقافة الجماهيرية دورها فى توجيه وتحديد الإطار النظرى للدراسة فالمدينه فى الواقع عبارة عن خليط من المجتمعات الشعبية الأصغر ، تلعب حيالها وسائل الاتصال الجماهيرى كالتليفزيون ، والتسجيلات الصوتية .... إلخ دوراً هاماً إذ تمتص الموضوعات الشعبية لتعيد إفرازها من جديد ، وتنشرها على جمهورها العريض فى عملية تغذية استرجاعية ثقافية مستمرة . كما أنها تصب اهتمامها فى تتبع التعديلات والتغيرات التى تتعرض لها الثقافة الشعبية فى البيئة الصناعية والحضرية ، وأيضاً عناصر الاستمرار بين ماضى حى وحاضر حيوى . (دورسون ، ١٩٧٢ : ١٤٨ - ١٥٣) . وهى تصورات تحمل معانى مرتبطة بمجتمع الدراسة ككل ، والذى يتسم بظروف خاصة من حيث توافد الهجرات من ثقافات مختلفة عربية وآسيوية وغيرها . إلى جانب التطور السريع لوسائل الاتصال الجماهيرى على مستوى الدولة ومنها أطباق الاستقبال وماتبثه من برامج عبر قنواتها الفضائية .... إلخ .

هذا ، كما تمت الاستعانة بنظرية التغير إيمانا بديناميكية الثقافة بشيقها المادى واللامادى ، وبأهمية التعرف على عوامل التغير الداخلية وفى مقدمتها التجديد Inno-vation بمعنى أى عنصر ثقافى جديد تقبله الثقافة ، والعملية التى تؤدى إلى هذا القبول (هو لتكرانس ، ١٩٧٢: ١٢) وأيضاً العوامل الخارجية للتغير والتى تنجم عن بعض العمليات التى فى مقدمتها - التكيف الثقافى acculuration (أو عملية التغير من خلال الاتصال الثقافى بين ثقافتين قد تكونان فرعيتنان فى نفس المجتمع كقبيلتين مختلفتين ، أو ثقافة بدوية ، وأخرى حضرية ... إلخ) يؤدى إلى زيادةأوجه التشابه بينهما ، أو حدوث تغير فى الأنماط الثقافية الأصلية لإحدى الثقافتين أولهما معاً . (عبد الله الخريجى ، ١٩٨٣ : ٢٩٠ - ٣٠٤) مع الأخذ فى الاعتبار بعض المتغيرات الخاصة بظاهرة التثاقف والتى نبه إليها «رالف بيلز، وهارى هويجرز» كدرجة التباين الثقافى ، وظروف الاتصال وكثافته حيث اتسمت مجتمعات البحث بتقارب المستويات التكنولوجية ، والقيم ، والبناء الاجتماعى والثقافى ، وكثافة الاتصال كما تميزت مواقف السيطرة بقدر عال من التكافؤ أدى إن المد التأثيرى بين الثقافات الفرعية بوجه خاص كان متبادلاً فى معظم الحالات (Beals, 1971: 596) .

وأخيراً يمكن الإشارة إلى الأهمية العملية أو التطبيقية للدراسة فى كونها - تبرز - فى جانب منها - أهمية رصد عناصر التراث الشعبى ، واستخدامها فى مجالات العرض بالخرائط ، والعرض المتحفى مما يتيح للإنسان فرصة تنمية الذاكرة ، والتعرف على تراث بلاده ، وتعميق حبه لهذا التراث من خلال المعرفة ، والعاطفة معاً . كما يبدو - من جانب آخر - فى إمكانية الاستفادة العملية مما تقدمه من بيانات حول انعكاسات الواقع المعاش ، والمتغير بكل جوانبه الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية على الظاهرة موضوع الدراسة .

ثانياً : الإطار المنهجى للدراسة

يشتمل الجزء الخاص بالإطار المنهجى للدراسة على ست نقاط تتناول على التوالى مشكلة البحث وتساؤلات الدراسة ، والإعداد لها ، ثم اختيار الدراسة ، والعينة ، يلى ذلك تناول أهم المناهج المستخدمة ، ووسائل جمع المادة الميدانية .

١ - مشكلة البحث وتساؤلات الدراسة :

انطلاقا من الأهمية النظرية والموضوعية والتطبيقية للدراسة تحددت مشكلة البحث فى كونها محاولة لرصد بعض ملامح تغير الزى التقيدى للمرأة فى مجتمع الدراسة مع التركيز على دراسة حالة للبرقع بكل أجزائه ، وتفاصيله ، وإلقاء الضوء على ماطرأ عليه من تغيرات فى الشكل والوظيفة . إلى جانب الاهتمام بكيفية تعبيره عن التفاعل مع الواقع التاريخى ، والجغرافى لمجتمع الدراسة من جانب ، ومع مختلف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتغيرة من جانب آخر . لذا تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية : -

١ - إلى أى مدى تعكس الظاهرة موضوع الدراسة التفاعل مع الخلفية التاريخية ، والإطار الإيكولوجى ؟

٢ - ماهى أهم التغيرات التى طرأت على زى المرأة عامة ، والبرقع خاصة ؟ وهل صاحب تغير شكله تغير فى وظائف ؟ وما هى سرعة التغير ، واتجاهه ، وأهم عوامله؟ وإلى أى مدى لحق التغير بطرق إنتاجه، ورمزيته ؟

٣ - إلى أى مدى يكشف البرقع عن الإتصال الثقافى بالحضارات المختلفة ؟ وهل صاحب إنحسار إرتدائه طرح أو إستعارة الثقافية لبدائل أخرى ؟

٤ - ماهى أهم المتغيرات التى تلعب دوراً فى تنوع البراقع، وفى الحرص على إرتدائها ؟

٥ - ماهى طرق تزيين البراقع، ومناسبات إرتدائها ومستقبلها ؟

٢ - الإعداد للدراسة :

فى محاولة للإجابة عن التساؤلات السابقة بدأت مرحلة الإعداد للدراسة والتى يمكن تحديد أهم خطواتها فى محاولة إجراء دراسة إستطلاعية للظاهرة، ولمجتمع البحث، إلى جانب الإعداد البيليوجرافى للدراسة وهو ما سوف أشير إليه فى الفقرات التالية:

أ) الدراسة الاستطلاعية : لما كانت الدراسة الفولكلورية التى تستعين بالمنهج الأنثروبولوچى فى دراسة التراث الشعبى تتطلب من الباحث قدراً عالياً من القدرة على الاندماج، والانفصال أحياناً عن مجتمع بحثه فى محاولة لفهم أبعاده، وأبعاد ظاهرة البحث. ولما كانت الباحثه لم يسبق لها إجراء مثل هذه الدراسة خارج نطاق المجتمع المصرى، فقد تطلب الأمر منها إعداداً خاصاً يضمن نجاح الدراسة. وقد كانت أولى خطوات هذا الإعداد قيام الباحثة فى محاولة فهم مجتمع البحث بالإستفادة من تدريسها لمواد «مجتمع الإمارات» حيث التعرف على الخلفية التاريخية، والجغرافية، وخصائص السكان، والحياة الأسرية وغيرها. إلى جانب تدريسها لمادة «حلقة بحث» التى دارت من خلالها مناقشات عديدة حول قضايا ومشكلات المجتمع. وفى محاولة لفهم ظاهرة البحث أثارت الباحثة من خلال تدريسها لمادة «التراث الشعبى» نقاشاً حول زى المرأة، وأشكاله وتغيره، حيث اتضحت أهمية البرقع كموضوع للدراسة، وبالتالى تم تكليف كل طالبة بإحضار برقع - أو أكثر - من فترات زمنية، ومناطق مختلفة مرفق به بطاقة توضح مكان إرتدائه وسن من ترتديه، والمنطقة .... إلخ. حيث قام الباحث بدراسة ومقارنة أشكال البراقع، وبطاقاتها حيث إتضحت بعض

الاختلافات فى ألوانها وأشكالها، ومساحتها تعكس بعض الاختلافات بين القبائل والثقافات الفرعية البدوية والحضرية إلى جانب الإختلافات عبر الزمن، حتى أنه يمكن القول بأن إكتشاف النفط، وزيادة إستثماراته، وقيام الاتحاد فى ١٩٧١م تعد نقطة الصفر التى تفصل بين مجتمع تقليدى، وآخر آخذ فى التحديث والتحضر. وبالتالى سوف يكون تناولنا لتغير الظاهرة بين مرحلتى ماقبل، ومابعد ظهور النفط وقيام الاتحاد حيث لعبت ظروف المجتمع بكل جوانبها دورها فى إحداث تغيرات سريعة وملموسة فى زى المرأة عامة، وفى البرقع خاصة كأحد مكملات زى المرأة. ومن هنا، كانت هذه المرحلة من الدراسة بمثابة دراسة إستطلاعية ألقت الضوء على الظاهرة فى نطاق مجتمع الإمارات بإماراته السبع .

ب) الإعداد الببليوجرافى : زامن المرحلة السابقة من الدراسة الاهتمام بالإعداد الببليوجرافى لها، حيث تمت الاستعانة بخبرات بعض أساتذة علم الجغرافيا بجامعة الإمارات وتوجيهاتهم لأهم المراجع فى الجغرافيا البشرية، وجغرافيا المدن الخاصة بالمجتمع، والحصول على خرائط ..... الخ، كما تم الرجوع إلى المراجع التاريخية، وإلى البيانات الرسمية، والاحصائية، وكل ما يمكن أن يسهم فى إلقاء مزيد من الضوء على مجتمع الدراسة. ومن جانب آخر تمت قراءة المتاح مما كتب عن موضوع الزى التقليدى، وماتضمنته تلك الدراسات عن البرقع وقد كان فى مجمله إشارات، وأجزاء متفرقة - زمانياً ومكانياً .

وهكذا، ساهمت مرحلة الإعداد للدراسة فى التعرف على الظاهرة فى نطاق مجتمع الإمارات ككل - والتعرف على بعض تفاصيل زى المرأة والبرقع، وأسمائه وذلك من خلال البطاقات التى أعدتها الطالبات - وفى طرح بعض التساؤلات الهامة للدراسة

ومنها تأثير الحياة فى مجتمع محلى على الاختلاف فى أشكال البراقع ورموزها. كما كان للإعداد الببليوجرافى تأثيره فى التعرف على مدينة العين، وحدودها، وملامحها الإيكولوچية، وتعدد سكانها، وأصولهم القبلية .... إلخ مما مهد وساعد فى إختيار مجتمع الدراسة .

٣) إختيار مجتمع الدراسة :

إنطلاقاً مما سبق تم تحديد أسس إختيار مجتمع الدراسة كالتالى :

١- أن يكون أحد أحياء مدينة العين التى يسكنها مواطنون ينتمون إلى أصول قبلية ومستويات إجتماعية مختلفة .

٢- أن يكون مجتمعاً محلياً صغيراً، محدود المساحة والعدد، وبالتالى يسهل دراسته من قبل باحث واحد فرد .

٣- أن يضم المجتمع بعض صانعات البراقع .

وبدأت الخطوات التنفيذية للاختيار بجولة بصحبة إحدى طالبات مادة التراث الشعبى، والتى تميزت بالإستعداد التلقائى والحماس فى تقديم المساعدة للوصول إلى بعض أحياء مدينة العين وبعض صانعات البراقع، والدخول إلى المجتمع المحلى. وقد أسفرت هذه الجولة عن إختيار حى «المرخانية» كواحد من أحياء مدينة العين مجالاً للدراسة الميدانية (أنظر الإطار الإيكولوچى) حيث توافرت فيه كافة أسس الاختيار المشار إليها .

٤) إختيار العينة :

كان لثلاثة من طالبات التراث الشعبى فضل تيسير الدخول إلى مجتمع الدراسة، وبالتالى إختيار عينة. فقد قامت إحداهن - السابق الإشارة إليها - بترتيب زيارة

لإحدى قريباتها التى قامت بدورها بترتيب زيارة لاثنتين من صانعات البراقع اللاتى كن نقطة الإنطلاق للتعرف على زبائنهن، وجاراتهن فى المجتمع المحلى حيث تم إختيار عشرة اخباريات - من بينهن صانعات البراقع - وقد كان إختيار الإخباريات من الإناث فقط راجعاً لطبيعة الظاهرة من جانب، وطبيعة مجتمع الدراسة من جانب آخر. هذا بينما ساعدت الطالبتان الأخرتان الباحثة فى الدخول إلى منطقة القصور والفيلات حيث تم إختيار ستة إخباريات. والجدير بالذكر أنه قد روعى فى إخباريات المجموعتين السكنيتين - فى نفس الحى - أن تكن معبرات عن مستويات إجتماعية متباينة، وأصول قبلية مختلفة، كما ينتمين إلى ثلاثة أجيال هى جيل الجدات، والأمهات، والبنات وذلك لتتبع البعد الزمنى أو الجيلى للظاهرة .

٥) المناهج المستخدمة في الدراسة :

إنطلاقاً من الاقتناع بأهمية التكامل المنهجى، وإستخدام عدة مناهج بهدف إلقاء مزيد من الضوء على الظاهرة موضوع البحث، إستعانت الدراسة بالمنهج الأنثروبولوچى، والفولكلورى، والإيكولوچى، ومنهج دراسة المجتمع المحلى كالتالى :

أ) **المنهج الأنثروبولوچي** : أصبحت إمكانية الاستفادة من المنهج الأنثروبولوچى فى ميدان التراث الشعبى واضحة جلية، أو شبه مسلم بها. وبالتالى فقد تمت الاستعانة به فى إختيار منطقة الدراسة، والإعداد الببليوجرافى لها، والوصول إلى منطقة البحث، وإختيار وحدات الدراسة والإعلام عن مهمة الباحثة، إلى جانب بعض وسائل جمع المادة وفى مقدمتها دليل العمل الميدانى، والتصوير الفوتوغرافى (أنظر وسائل جمع المادة الميدانية) .

ب) **المنهج الفولكلورى** : - إستعانت الدراسة بالمنهج الفولكلورى باتجاهاته الأربعة، وذلك إنطلاقاً من أن المنهجين التاريخى والجغرافى يركزان فى المقام الأول على الثقافة العبية نفسها - الظاهرة موضوع البحث - بينما تتجه أنظار المنهجين السوسيولوچى والسيكولوچى مباشرة إلى حاملى الثقافة الشعبية (محمد الجوهرى، ١٩٧٨ : ١٨٥) حيث تمت مراعاة البعد الزمنى فى تطور الظاهرة، والبعد المكانى بمعنى إرتباط الظاهرة بالمكان أو المجتمع الذى تمارس فيه، كما أولت الدراسة إهتماماً للمنهج السوسيولوچى بمعنى فى أى جماعة محليهة - قبلية. جماعة عمرية .... الخ تنتشر الظاهرة ويتم إستخدامها. بينما أسهم المنهج السيكولوچى فى تحديد الموقف العقلى النفسى للإنسان تجاه الظاهرة، بمعنى موقف المرأة فى مجتمع الدراسة من البرقع، ودوافع الحرص أو عدم الحرص على إرتدائه ... الخ

جـ) **المنهج الإيكولوچى** : نظراً إلى أهمية دراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة، وأن التفاعل الإجتماعى لايحدث فى فراغ، وإنما فى نطاق جغرافى معين، وزن الأرض ليست مجرد أرض مسطحة فارغة، وإنما تؤثر خصائصها الفيزيقية فى الأحداث الاجتماعية التى تظهر عليها. (محمد الجوهرى، ١٩٩٥ : ٢٢٥) فقد حرصت الدراسة على التعرف على العلاقة بين المكان - مجتمع البحث - وبين الإنسان الذى يمارس الظاهرة موضوع الدراسة وذلك من خلال خريطة توضح الموقع كأساس تنطلق منه الملاحظات، والتعرف على عدد السكان، وأنماطهم، وأنماط تفاعلهم مع الإستعانة بالإحصاءات الرسمية من جانب، وتلك التى يتم الحصول عليها من الدراسة الميدانية كمستويات المهن، وحجم الأسرة من جانب آخر مع محاولة التعرف على تأثير الواقع الإيكولوچى على الظاهرة ممثلاً فى إستخدام عناصر من البيئة أو من خارجها سواء فى الماضى أو الحاضر .

د) **منهج دراسة المجتمع المحلى** : عندما تذكر كلمة مجتمع محلى Community فإننا نتصور جماعة من الأفراد يرتبطون بروابط معينة ويشتركون فى المصالح والاهتمامات، ومكاناً معيناً - جزءاً من مدينة أو حيا داخل مدينة - إلى جانب فكرة المعية أى العيش معاً والسعى نحو تحقيق إستمرار الحياة، والانتماء Belongness، والاستمرار فى الوجود Ongoingness داخل نطاق جغرافى محلى معين. كما يتضمن المفهوم أيضاً مجموعة من العلاقات بين الأفراد الذين يكونون هذه الجماعة الكبيرة. (محمد الجوهرى، ١٩٩٥ : ٢٨٩). وقد أسهم كل ذلك فى التعرف على الدور الذى يلعبه المجتمع المحلى فى حياة أعضائه، وتأثير مفاهيم الحيز - علاقة الحى «المرخانية» بخصائصه المختلفة بالمدينة الأكبر «العين» وبالإمارة «أبو ظبى» وبالمجتمع ككل، والتعرف على الخلفية الاجتماعية لسكانه من حيث خصائصهم المختلفة، والثقافة السائدة بينهم بما تتضمنه من قيم ومعان، وأيضاً التفاعل الفردى والجماعى فى الحياة اليومية ممثلاً فى التفاعلات على مستوى الأسرة النووية، والممتدة، والجيرة ، وتوزيع القوة - التى كانت تتمركز غالباً حول كبار السن - ثم تحليل المجتمع كنسق إجتماعى متكامل مكون من وحدات مترابطة ومتفاعلة تخلق شكلاً من التجانس يمكن أن يكون مؤثراً فعالاً فى التقليل من حدة الاختلافات فى أشكال البراقع، والتى كانت ترجع لفروق فى الإنتماءات القبلية، أو الثقافية فى مجتمع ماقبل ظهور النفط وقيام الاتحاد .

٦) **وسائل جمع المادة الميدانية :**

إستكمالاً لفكرة التكامل المنهجى، إستعانت الدراسة بعدد من وسائل جمع المادة الميدانية التى شاع إستخدامها فى المناهج المستخدمة والتى كان فى مقدمتها الملاحظة، والمقابلة المتعمقة، ودليل العمل الميدانى، والتصوير الفوتوغرافى، والرسم.

أ) **الملاحظـة** إنطلاقاً من كون الملاحظة وسيلة أساسية لفهم الظاهرة فهما حقيقياً من خلال رؤيتها رؤية العيان (محمد الجوهر، ١٩٩٥ : ١٥١) فقد تم إستخدامها على عدة مستويات تبدأ بالمستوى العام حيث ملاحظة كافة جوانب الحياة فى مجتمع البحث، ثم ملاحظة الأزياء التقليدية، ثم ظاهرة البحث «البرقع» من حيث شكله وطريقة إرتدائه وكثافتها على مستوى المجتمع ككل، ثم تحديد مكان وزمان معينين لملاحظة نفس الظاهرة. مع الالتزام خلال كافة المراحل باليقظة والمرونة، والتدوين الفورى لبعض البيانات كتفاصيل البرقع وأجزائه، والتدوين عقب العودة من الميدان لكافة الموضوعات التى تمت ملاحظتها، وتأمل دلالاتها على إنفراد لبلورة التصورات، واستحداث تصورات جديدة تسهم فى مواصلة الملاحظات الميدانية، وربطها ببعض التصورات والأطر النظرية .

ب) **المقابلة المتعمقة** : إستعانت الدراسه بالمقابلة المتعمقة كأسلوب يمكن من خلالة الحصول على بيانات مفصلة عن ظاهرة ما، أوتفسيرات معينة. فهى تمكن الباحث مر «سبر أغوار مشاعر الأفراد تجاه ظاهرة معينة، وأحكامهم تجاهها، وكيفية ربطهم لها بمجالات أخرى فى حياتهم، إلى جانب الحصول على بيانات إسترجاعية ممتدة عبر الزمن (محمد الجوهرى، ١٩٩٥ : ١٧٥ - ١٧٦). وقد تنوعت المقابلات بين فردية، وجماعية تمت بشكل تلقائى مع القريبات، والجارات، وأطفالهن حيث أستغرقت كل مقابلة نحو الساعتين. وكان يوم العمل الميدانى يبدأ فى حوالى الساعة الخامسة مساء، وينتهى فى التاسعة، ويتسع لنحو مقابلتين متعمقتين. ويرجع تفصيل هذا التوقيت إلى إنشغال بعض الإخباريات فى أعمالهن - فى وظائف حكومية - خلال ساعات النهار، وتفضيلهن التجمع فى «العصرية لتناول» «الفوالة» - أطباق من الفاكهة والحلوى، والتمر - (أنظر مجتمع الدراسة)، كما تمت مقابلات مع بعض محترفى

صناعة البرقع من الهنود. هذا، وقد حرصت الباحثة أثناء عقد المقابلات المتعمقة على مايلى :-

- تكوين علاقات ألفة مع الإخباريات، مع الالتزام بالموضوعية والحياد سواء فى التعامل معهن أو فى النقاش حول تفاصيل الموضوعات المثارة. والجدير بالذكر أن مهنة الباحثة قد لعبت دوراً واضحاً فى تعزيز العلاقات، وتدعيم الألفة، وفى الترحيب بالمقابلات .

- شرح مهمة الباحثة ببساطة وصدق، مع محاولة إستثارة حماس الإخباريات للإهتمام بجزء من تراثهن الشعبى الذى يتعرض للتغير مع تغير ظروف المجتمع ككل، وذلك من خلال تقديم بيانات تفصيلية تسهم فى دراسته ؛ وتسجيل كافة تفاصيله .

الانتقال فى الأسئلة من المستوى العام إلى الخاص، حيث بدأت الأسئلة حول زى المرأة متضمناً البرقع بشكل عام، ثم فى مجتمع الدراسة، بينما كانت البيانات الخاصة بالإخباريات أنفسهن، والتى لم يتم التعرف عليها بشكل تلقائى أثناء المقابلات هى آخر ما وجهت نحوه الأسئلة المباشرة .

- تدوين بعض البيانات -كالتى تحمل تفاصيل البرقع - باختزال أثناء المقابلة ، مع استكمال التدوين عقب تاعودة من الميدان مباشرة مع الحرص على تصنيف المادة التى تم جمعها أولا بأول وتحليل بعضها وتفسيره.

ج) **دليل العمل الميداني** : - تم تفصيل للعمل الميدانى تضمن بنودا تدور حول تساؤلات البحث ، وبنودا أخرى لتوجيه عملية الملاحظة . وقد تم الإعتماد فى تصميمه على البطاقات التى أعدتها الطالبات عن البراقع ، واختلافاتها بين المنطق والإمارات ... إلخ إلى جانب خلاصة القراءات التى تمت حول الظاهرة من جانب ، وحول مجتمع

الدراسة من جانب آخر ، بالإضافة إلى بعض البنود والتساؤلات المستوحاه من الإطار النظرى للدراسة .

د) **التصوير الفوتوغرافي ، والرسم** : - كان ترحيب مفرادات البحث بالباحثة لا فتا للنظر ، لمست من خلاله كرم الإستقبال والضيافة والصدق فى الحوار حول الظاهرة موضوع الدراسة ومع ذلك عبرت الإختبارات عن استعدادهن التام أسئلة ورفهن فى الوقت نفسه لأى صور فوتوغرافية تلتقط لهن ، ومن هنا وحرصا علي وجهات نظرهن و وتقاليدهن ، ونظرا لإستحالة إجراء دراسة فى الثقافة المادية دون تسجيل أو تصوير للعنصر المدروس ، وحرصت الباحثة على الحصول على نماذج مختلفة من الأزياء ، والبراقع التى ترتديها النساء من كبار ومتوسطات السن ، والشابات فى مجتمع الدراسة حيث تم تصوير بعض قطع الزى وطريقة ارتداء البراقع بالإستعانة بفتاه من خارج المجتمع كم تم رسم البراقع - باعتبارها موضوعا لدراسة الحالة - بمساحتها الطبيعية ، ثم تصغيرها مع ذكر كافة أبعادها بالسنتيمتر كوحدة للقياس ، إلى جانب أجزائها بمسمياتها .

ثالثا : الإطار الإيكولوجى والإجتماعى لمجتمع الدراسة

يتناول هذا الجزء بعض السمات الإيكولوجية لمجتمع البحث ، ثم أهم ملامح الحياة الإجتماعية يليها بعض ملامح الزى التقليدى للمرأة ومكملاته .

أ - بعض سمات مجتمع البحث :

أجريت الدراسة الميدانية فى حى " المرخانية " وهو أحد أحياء مدينة العين التى تعد المدينة الثانية فى إمارة أبو ظبى دولة الإمارات العربية المتحدة . وانطلاقا من كوننا لا نستطيع أن ندرس أى ظاهرة فولكلورية دون تحديد لواقعها الجغرافى ، وما يصاحبه من خائص أيكولوجية فسوف تتناول الفقرات التالية الإطار الإيكولوجى من خلال لمحة

موجزة عن مجتمع الإمارات ككل ومدينة العين وحى المرخانية باعتبارها المجال الجغرافى للبحث .

تقع دولة الإمارات فى قلب الخليج العربى يحدها من الشمال الخليج العربى ، ومن الغرب دولتى قطر والمماكة العربية السعودية ، ومن الجنوب سلطنة عمان والمملكة العربية السعودية ، ومن الشرق خليج عمان الذى يفتح على المحيط الهندى وقد كان لهذا الموقع تأثيره على أنشطة السكان التقليدية وخبراتهم التجارية والإقتصادية وإتصالتهم الحارية ،(أنظر الخريطة رقم ١).

خريطة رقم (١)

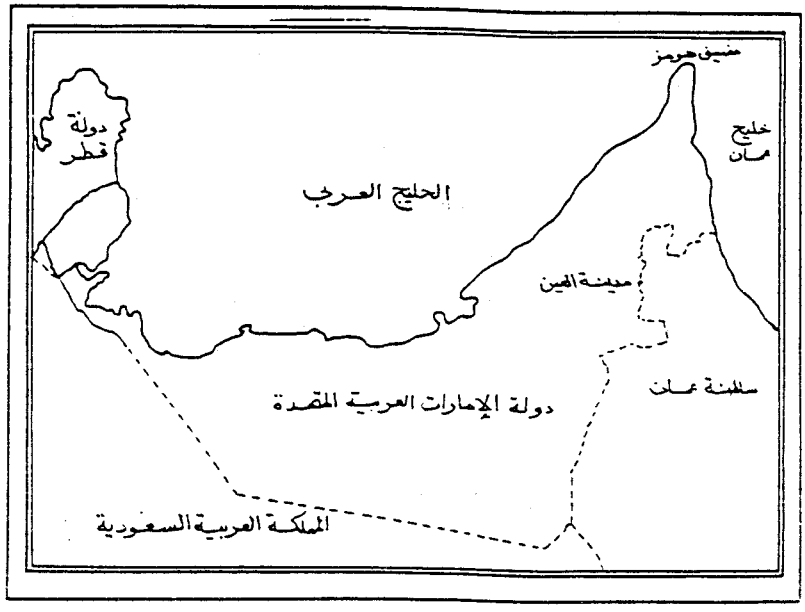

موضح حدود دولة الإمارات العربية المتحدة مع الدول المجاورة

ويتألف السكان فى مجتمع الإمارات منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادى من تخالفين قبليين كبيريم هما حلفا بنى ياس ، والقواسم إلى جانب بعض القبائل الأخرى كقبائل المنصير والظواهر ، والعوامل ، النعيمى والشرقيين وغيرهم (الدراسة المسيحة الشاملة ، ١٩٧٨ : ٥٣٩ - ٥٤٤) (مانع سعيد العتيبة ، ١٩٧٧ : ٢١ ، ٢٢) . ولا شك أن تتنوع الإنتماءات القبلية قد يفرض خصوصية لكل منها يكمن أن تتضح فى بعض أجزاء الزى التقليدى ، ومن بينها البرقع من حيث مساحته ، أو لونه أو غير ذلك .

وقد كان لا كتشاف النفط فى الستينات ، وزيادة استثمارته فى بداية السبعينات ، مع قيام الإتحاد ، أكبر فى تحول تقليدى يعتمد فى اقتصاده على الرعى، والزراعية فى المناطق الداخلية ، على الصيد والغوص والتجارة فى المناطق الساحلية ، إلى مجتمع أخذ فى التحديث والتحضر شأنه فى كافة المجتمعات النفطية الخليجية مما كان له أثره على أنماط الحياه بكل تفاصيلها بوجه عام وعلى الظاهرة موضوع البحث بوجه خاص ومدينه أبو ظبى - إمارة أبو ظبى - هى عاصمة الدولة التى تم الإتحاد بين إمارتها فى ٢ ديسمبر ١٩٧١ (المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٩٣ : ٣) . بينما تعد مدينة العين ثانى مدن إمارة أبو ظبى ، وتقع فى الطرف الجنوبى الشرقى للدولة ، وهى مركز لأكبر تجمع سكانى فى المنطقة الشرقية بالأمارة ، فقد بلغ عدد سكانها ١٩٩٤ م (٢٧٧,٢٥٢) نسمة (الكتاب الإحصائي السنوى ، ١٩٩٤ : ٢٢,٢١ . وقد نشأت مدينة العين كقرى زراية ورعوية تفصل بينها الكثبان الرملية فهى كالواحات فى إقليم صحراوى جاف ، حيث يمر مدار السرطان على بعد ٨٠ كم من جهة الجنوب ، ويرجع تاريخ المدينة رلى الألف الثالثة قبل الميلاد ، و تدل المكتشفات الأثرية بها على أن المنطقة كانت محطة تجارية للقوافل بين الصحراء والخليج العربى وبالتالى كانت لها صلات حضارية امتدت حتى الرافدين ، وفارس ، والسند ، (يوسف أبو حجاج ، ١٩٨١ : ١٣٦) (محمد حسن غامرى ، ١٩٨٤ : ١٣٦) وبالتالى كان لظروف العزلة أو

الاتصال تأثيرها على التبادل الثقافى ، والإنفتاح على الثقافات المجاورة أحيانا وتكريس بعض الاختلافات القبلية من خلال العزلة أحيانا أخري.

وإذا انتقلنا إلى النظام الاقتصادى لمدينة العين فى مرحلة ما قبل ظهور النفط وقيام الاتحاد ، فقد كان يعتمد على اقتصاديات النخيل حيث يعد التمر غذاء رئيسيا للسكان الذين عمل بعضهم فى التجارة بين مدينتى العين وأبو ظبى ، بينما مارس البعض الغوص الذى يرحل محتروفوه إلى أبو ظبى للتعاقد مع " تانوخذة " (ملاك السفن) للعمل على سفنهم مقابل أجر محدد ، وقد انعسكت الحياة الإقتصادية ببساطتها على الحياة الإجتماعية للسكان التى ميزها التضامن الإجتماعى الذى اتضح فى مواقف عديدة وتجسد فى نظام " الفزعة " الذى يهدف إلى تقديم المساعدة لكل من يجتاجها دون مقابل ، والذى طبق عند بناء المساكن ، وفى مناسبات انزواج ، والموت ، والأزمات المختلفة (محمد حسن غامرى ، ١٩٨٤ : ١٣٩ ، ١٤٢) .

ومع تدفق استثمارت النفط ، وقيام الإتحاد ، وخلال فترة السبعينات شهدت المنطقة نموا حضريا سريعا حيث تم شق الطرق بين القرى التناثرة ، وأقميت المبانى والمنشآت على امتدلدها ، ثم توالى إنشاء الطرق الرئسية والفرعية ، كما تطورت خلال تلك الفترة الزراعية بالوسائل الحديثة إلى جانب بعض الصناعات (يوسف أبو الحجاج ، ١٩٨١ : ٤٢ ، ٤٣ ، ٧٢) . كما نشطت الجارة ، وأنشئت الخدمات فى مجالات الصحة والتعليم والتصال وغيرها . وشيئا فشيئا تحولت مدينة العين إلى مدينة حديثة حسنة التخطيط ، متسعة العمران اتسمت مبانيها بالطابع الإسلامى ، وضمت المساجد ، والحدائق العامة ، وبعض المتاحف والنوادى الرياضة ، والمكتبات العامة (المجموعة الإحصائية ، ١٩٩٣ : ٤) وتعد جامعة الإمارات من أهم منشآتها (تم افتتاحها عام ١٩٧٧) وأيضا مطار العين الدولى تم افتتاحه عام ١٩٩٥) .

وإذا انتقلنا إلى التركيبة السكانية ، فلا شك أن الهجرات الوافدة من الدول العربية والآسيوية وغيرهما ، وهو ما شاع على مستوى الدولة ككل فيما بعد ظهور النفط وقيام الإتحاد ، كان لها تأثيرها على التغيرات الديموجرافية التى أثرت بدورها على العديد من التغيرات الإجتماعية والتبادل الثقافى بين الجماعات المختلفة ، والتداخل بين القيم القبلية التقليدية ، والمستحدثة . وقد ضاعف من ذلك تأثير وسائل الإعلام المختلفة . وانتشار التعليم ، وإمكانية الحراك المهنى والإجتماعى ، وإرتفاع متويات المعيشة ، وإنتشار سمات الحضرية كطريقة للحياه ، وهى متغيرات أكدت أهميتها مدرسة الثقافة الجماهرية.

وإذا انتقلنا إلى حى " المرخانية " فهو أحد الأحياء الحديثة - نسبيا - بمدينة العين، بدأ إنشاؤه مع بداية الثمانينات ، وهو واحد من خمس مجاورات سكنية تتكون من ٢٢٦ هتكاراً، وتمثل جزءا من منطقة " الطوية " بمدينة العين (أنظر الخريطة رقم ٢) وينتمى سكان المرخانية إلى أصول قبلية منها الشوامس ، والظواهر ، وبنى كعب ، والفارسي ، والنعيمى ، والغياثى ، والعيسائى ، والحباب ، والرمثى ، والجمزان ، والكثيبى ، غيرهم . حيث يضم المجتمع المحلى - كالمرخانية - إسراً ذات انتماءات قبلية مختلفة . وهى ليست استثنائية على مستوى المجتمع ككل ، فأبناء القبيلة الواحد يعيشون حاليا فى مناطق متفرقة . وهم رغم كونهم يحملون نفس الأسم فإنهم لا يرتبطون بعلاقات قرابية . ومن هنا فقد يكون لمفهوم المجتمع المحلى دوره فى خلق عال من التلازم والتجانس البشرى ، وفى تدعيم الإنتماء للمجتمع المحلى ، وللدولة كبديل للإنتماء القبلى . كما قد يكون لذلك الوضع انعكاساته الواضحة على البرفع الذى يمثل أحد الرموز القبلية فى مجتمع ما قبل النفط والإتحاد .

ويتكون حى المراخانية من ثلاث مناطق تضم أولها نحو ١,٠٠٦ وحدة سكنية

مخصصة للسكان من جنسيات عربية مختلفة (وافدون) يبلغ عددهم نحو ٤,٨٠٧ نسمة وتضم المنطقة الثانية – المرخانية ٥ – نحو ٢٠٩ وحدة سكنية مخصصة لتوطين المواطنين من قبائل مختلفة بلغ عددهم نحو ١,٦٠١ نسمة . قد تم إنشاء المنطقتين مع بداية الثمانينات . أما المنطقة الثالثة فهى المرخانية الجديدة وهى منطقة خاصة بالقصور والفيلات التى بناها ويسكنها مواطنون من مستويات اجتماعية مرتفعة (المخطط الأساسى لمدينة العين ١٢ – ١٧) وقد تم إنشاؤها منذ منتصف الثمانينات تقريباً .

خريطة رقم (٢)

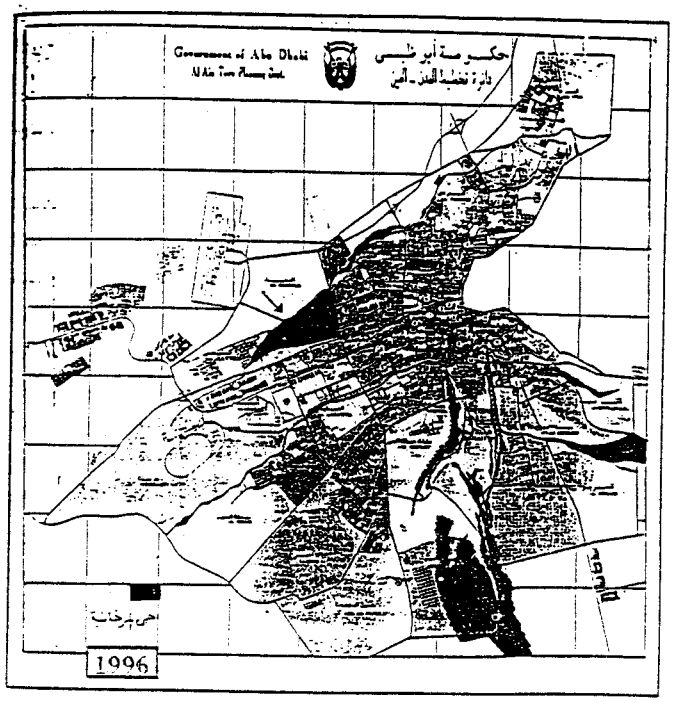

توضح حدود مدينة العين والسهم يشير إلى حى المرخانية (مجتمع الدراسة)

هذا ، وقد أجريت الدراسة الميدانية على بعض سكان المرخانية ٥ - باعتبارها منطقة خاصة بالمواطنين من قبائل مختلفة منحتهم الدولة مساكنهم (كانت أولوية المنح لمن لهم ظروف خاصة كالمطلقات والأرامل) فمنحت الأسرة صغيرة العدد مسكناً واحداً ، والأسرة كبيرة العدد مسكنين متجاورين يمكن ضمها إلى بعضها بالإضافة إلى قطعة أرض مبان ، ومحل للإستثمار.

وتشمل المرخانية ٥ شارعين رئيسيين يتفرع عنهما نحو خمسة شوارع فرعية ، تصطف على جانبى كل منها مصفوفة من المساكن ذات الطابق الواحد . ويتكون كل مسكن من غرفتين وصالة محمام ومطبخ ، وحوش متسع بدون سقف يسمح ببناء غرف أخرى تلحق بالمسكن . ولكل مسكن حديقة صغيرة يقيم فيها بعض السكان خيمة رمزا للمحافظة على التراث والتمسك بسمات التقليدية.

وقد أجريت الدراسة أيضا على بعض سكان المرخانية الجديدة بإعتبارها يمثلون مستويات اجتماعية مرتفعة حبيث تتكون مساكن المنطقة من قصور وفيلات فاخرة ذات طابقين . وتضم كل منها غالبا عدة وحدات سكنية ، يقطن كل منها أسرة نووية لتكون جميعها فى النهاية أسرة متدة فى مساكن منفصلة سور واحد ، وقد يقطن مجموعة فيلات فى شارع واحد عائلات ترتبط فيما بينها بعلاقات قرابية . ومن هنا تزداد كثافة العلاقات القرابية فى هذه المنطقة مقابل علاقات الجيزة فى المنطقة الأولي .

وحول بعض خصائص السكان فى منطقتى البحث فإنه فيما يتعلق بالتعليم فإن مستوياته متقاربة حيث حصل غالبية السكان من جيل الشباب ذكورا وإناثا على مستوى تعليم متوسط أو أقل من المتوسط بينما حصل البعض على التعليم الجامعى . انخفضت مستويات التعليم فى جيل الأباء بصفة عامة وعن الإناث منهم صفة خاصة . أما فيما يتعلق بالمهن فيعمل غالبية سكان المرخانية ٥ فى قطاع الخدمات حيث يعمل

الرجال فى مجالات الشرطة ، والدفاع والدوائر الحكومية المختلفة ، وتعمل بعض الإناث - فى مجال خدمات التعليم بصفة خاصة .

هذا ، ويعمل غالبية الرجال من سكان المرخانية الجدية فى بعض الوظائف الحكومية الهامة ، وفى التجارة والمشروعات الإستثمارية ، بينما تقل نسبة الإناث العاملات وتتابين مستويات الدخل نسبيا بين منطقتى الدراسة ، إلا أنها تعد مرتفعة إجمالا فلا يقل دخل الأسرة فى المرخانية ٥ عن سبعة آلاف درهم شهريا تقريبا . والجدير بالذكر فى هذا المجال أن متوسط الدخل الفردى فى دولة الإمارات قد وصل فى عام ١٩٨٥ وفقا لتقدير البنك الدولى إلى ما يعادل ١٩٢٧٠ دولاراً أمريكياً متجاوز بذلك كل دول العالم النفطية أو الصناعية (البنك الدولى للإنشاء والتعمير ، ١٩٨٧ : ٢٢١) .

ب - أهم ملامح الحياة الإجتماعية :

وفى محاولة للإقتراب والتعرف على أهم ملامح الحياة الإجتماعية فى مجتمع الدراسة فإن حى المرخانية يجمع بين سمات التقليدية ، والمعاصرة . وتتضح سمات فيما تمتلكه الزسرة من ماديات كالأناث ، والسيارات ، والأجهزة الكهربائية ، ووسائل الإتصال الحديثة من تليفونات سكية ولا سلكية ومحمولة ، فاكس ، وأطباق استقبال القنوات الفضائية الدولية وغيرها من وسائل التكنولوجيا الحديثة التى تزداد كما وكيفما فى المستويات الإجتماعية الإقتصادية العليا . وفى مقابل ذلك تتضح سمات التقليدية فى عدة مجالات فى مقدمتها : نمط الأسرة المفضل ، وحجم الأسرة ، وطبيعة العلاقات الإجتماعية ، كما تتضح فى التمسك ببعض القيم التقليدية ، والعادات ، وبعض عناصر الثقافة المادية . ولعل ذلك يتضح فيما يلى :

مازال نمط الأسرة الممتدة نمطاً مفضلاًعند مستويات اجتماعية اقتصادية متباينة - لعل ذلك امتداد للحياه القبلية والعشائرية فى الماضى - حيث يتم بناء مساكن مخصصة لإقامة الأبناء بعد زواجهم داخل أسور القصور أو الفيلات أو فى أحواش مساكن ذوى المستويات المتواضعة . وحتى فى حال استقلال فى أسر نووية فى مساكن مستقلة خارج النطاق سكنى أسرهم ، يظل أحدهم على الأقل مقيماً مع أسرة التوجية - وقد يكون أصغرهم سناً من الذكور أو الإناث - وتتسم العلاقات بوالدى الزوج بطابع المؤازرة وتقديم المساعدات المادية خاصة فى المستويات الأدنى - بينما يغلب طابع التضامن الإجتماعى على العلاقة بوالدى الزوجة خاصة إذا كانت الأسرتان تعيشان فى مساكن كتقاربة ، وهو أمر شائع فى مجتمع الدراسة حيث تقوم أسرة التوجيه فى هذه الحالة برعاية أبناء الأبنة أثناء غيابها ، وإعداد وجبات الطعام خاصة إذا كانت الإبنة تعمل فى إحدى الوظائف . فالأسرة فى هذه الحالة هى شكل من أشكال الأسرة الممتدة - الأمومية - المعدلة .

والأسرة فى مجتمع الدراسة كبير الحجم غالباً ، وتضم سته أطفال على الأقل ، وينظر الغالبية للأسرة التى تضم طفلا واحدا أو طفلين على أن الزوجة فيها لم تنجب لم بعد . فالاتجاه نحو زيادة معدلات الإنجاب يعد اتجاها واضحا تحث عليه الدولة وتشجعه بوجه عام نظراً لقلة عدد السكان المواطنين فى مقابل الوافدين .

وتتضح حميمية علاقات الأسرة والقرابة والجوار فى الحرص على تجمع الأبناء والأحفاد فى بيت الوالدين بشكل منتظم أسبوعيا غالبا - خاصة فى المستويات العليا ، والحرص على الإحتفال بالمناسبات المختلفة معاً . وعلى سبيل المثال ففى الأعياد يتجمع سكان المساكن المتجاورة سواء كانوا أقارب أو جيران فى منزل أكبرهم سناً - يعكس ذلك قيمة وإحترام كبار السن - حيث تحضر كل أسرة نوعا من الطعام فى الفترة ما بين العصر والمغرب ، ويلتقون لتناولها معاً ، كما يحرص الجيران نساءً وأطفالاً - قد

تربطه معلاقات قرابية – على الإشتراك معاً فى مجموعات مكونة ٣ – ٤ أسر فى تناول الفطور أحيانا أو تناول القهوة " العصرية " أو " الفوالة " وهى كلمة مأخوذة من الفأل الحسن – حيث تحضر كل منهن نوعاً من الحلوى أو الفاكهة أو المكسرات ويلتقون فى مسكن إحداهن ويشتركن معاً فى تناولها أثناء تسامرهن . هذا ، وتظهر صور التعاون بينهم فى كافة مناسبات دورة الحياة كالميلاد ، أو الزواج ، أوالموت ، وأيضا فى حالات المرض .كما تتضح تلك العلاقات فى حالة إعداد أى أسرة منهم لوليمة ويتم تبليغ الأرقاب والجيران فى نفس الإطار السكنى بعدم طهى طعام فى ذلك اليوم يرسلون لهم من طعام الوليمة .

وتشير الشواهد الميدانية إلى استمرارية العديد من القيم التقليدية وفى مقدمتها قيمة احترام كبار السن الذين يماكون القدرة على اتخاذ لقرارات المهمة فى شئون الأسرة كالزواج والطلاق ، أو اختيار مكان الإقامة و، فقد تحدث الإخبارية رقم (١) عن معاناتها من صعوبة إقامتها فى أبو ظبى مقر عملزوجها ، لأن والداتها المسنة تؤكد لها أنها سوف " تموت " لو انتقلت الإنبة إلى مدينة أبو ظبى واصطحبت معها الأحفاد الغار . كما يمكن للمرأة كبيرة السن أن تتخذ القرارات فى أمور الحياة اليوكية كإعداد أصناف معينة من الطعام أو الجلوس مع الجيران داخل أو خارج المسكن ... إلخ . فقد أصرت الإخبارية رقم (٥) فى إحدى الزيارات الميدانية على النتظارنا بباب المسكن حتى تنتهى من تبخيره بالبخور . كما أصرت الإخبارية وأحفادها – على فراش المسكن رغم حرارة الطقس فبى شهر يونيو ، ذاكرة ومؤكدة أن الطقس ملائم " ما فى حر " . إلا أنها بعد نحو ساعة أصرت مرة أخرى على دخولنا إلى المسكن ذاكرة أن الجلوس بداخله أفضل لأنه مكيف .

هذا ومازالت ملامح الماضى تعيش فى الحاضر خلال بعض العادات منها على سبيل المثال عادات الطعام بما تشمله من أصناف تقليدية، وطرق التقديم والتناول والتى تتشابه بين المستويات الإجتماعية الإقتصادية المختلفة ، فما زالت الأسرة فى مجتمع الدراسة حريصة على الأطعمة التقليدية مثل " الهريس " – لحم أو دجاج يطهى مع القمح لساعات طويلة حتى يصبح متجانسا ، وتبل ، ويرش سطحه بالمسلى – و "الثريد " – فته باللحم أو الدجاج كما تضاف إليها بعض الخضروات المطهوة – و " الخبيص " – حلوى تصنع من الدقيق أو السمود المحمر فى سمن ومضاف إليه ماء وسكر وبهارات كالهيل والزعفران . والجدير بالملاحظة أن غالبية الأطعمة التقلدية يغلب عليها اللون الأصفر ، والملمس اللين ، حيث تكتسبي الأطعمة – بما فيها الحلوى – اللون الأصفر بإضافة مادة الزعفران ، وقد يكون للبيئة الصحراوية تأثيرها فى ذلك سواء من حيث تفضيل اللون الأصفر أو تفضيل الطعام اللين سهل البلع نتيجة جفاف وارتفاع درجة الحرارة وبالتالى صعوبة الإعتماد على الأطعمة الجافة . هذا ولم يمنع التمسك بالأطعمة التقليدية دخول أطعمة أحرى جديدة هى انعكاس للإتصال الثقافى من خلال روافد عديدة فى مقدمتها الهجرات الوافدة والتى ساهمت فى انتشار السلطات (الشامية) والبيتزا والأكلات الإيطالية ، وأنواع المحاشى المصرية ، والأرز على الطريقة الهندية ... إلخ . أما عن طريق تناول الطعام وطرق تقديمه فهى مازالت تتسم بالتقليدية غالباً فتقدم أنواع الطعام والفاكهة بوضعها فى كبيرة على الأرض ، حيث يلتف حولها أفراد الأسرة والضيوف ، ويتناولها الجميع باستخدام أصابع اليد اليمنى ومن نفس الطبق غالياً . وتفضل الغالبية ثمار الفاكهة . إلى شرائح فى طبق واحد يوضع بين الجالسين ليتناولونه معاً . كما تقدم القهوة العربية والشاى بوضعها فى " تورمس " كما توضع الفناجين فى إناء عميق به ماء لغسلها بعد استخدامها ، أو لغسل أطراف الأصابع بعد تناول الفاكهة والحلوى.

ولا تتوقف سمات التقليدية عن مستوى اللاماديات ، بل تتعدها لتشمل العديد من عناصر الثقافة المادية وفى مقدمتها تصميم المسكن تالخارجى ، والداخلى ، وبعض قطع الأثاث ، كما تتضح فى مدى التنسك بالزى التقليدى ، فالمساكن من الخارج تتخذ تصميمات عربية وإسلامية ، كما يراعى فى التصميمات الداخلية العادات والتقاليد حيث تخصيص أماكن للنساء ، وأخرى للرجال . كما أن المسكن مهما اتصف أثاثه بالحداثة والمعاصرة فلا بد أن يضم جلسة عربية يفترش أرضها السجاد ، وتحاط جدرانها بالوسائد.

وإذا انتقلنا إلى الزى التقليدى بما يحمله من هوية وتميز ، فما زال واضحا على ارتدائه من قبل الرجل والمرأة فى مجتمع الدراسة ومع ذلك فقد تعكس زى المرأة ما طرأ على المجتمع من تحولات جذرية يأتى فى مقدمتها تغير الأوضاع الإقتصادية وما تبعها من تغيرات فى الإمكانات المادية للأفراد أثرت على قدرات شراء وإقتناء الملابس من جانب ، كما أثرت على اتجاه المرأة للعمل ، وطبيعة هذا العمل وما يتطلبه من تغير فى شكل من جانب آخر . ففى الماضى كانت الإمكانات المادية محمدوة مما انعكس على كم قطع الزى الخاص بالمرأة (كانت المرأة تمتلك من كل قطعة زى من ٢ - ٤ قطع وفقا للمستوى الإجتماعى الإقتصادى) وأيضا على نوعيتها وزخرفته .. إلخ . كما دفعت ظروف عمل المرأة داخل وخارج بيتها ، وسعيها لتوفير احتياجات الأسرة إلى ضرورة احتفاظها بثيابها القديمة لاردائها أثناء العمل . وهذا وقد أثرت طبيعة عملها فى تفضيلها لتصميمات متسعة تتناسب وحركة العمل نفسه فكانت المرأة فى الماضى تخرة للعمل مع الرجل جنباً إلى جنب . فعملت فى جمع الحطب اللازم لطهى الطعام ، وجلب المياه العذبة للشرب ، كما احترفت الحرف اليدوية لتوفير قوتها وقوت أسرتها ، فعملت خياطة ، ومزينة وماشطة ، ومطوعة لتدريس القرآن الكريم ، كما عملت فى

المناطق الزراعية فى فلاحة الأرض ، وبعض الأعمال الحرفية من سعف الخيل ، إلى جانب طحن الحبوب ، الغزل ، الحياكة ، ورعاية الماشية ، وحلبها ، وصناعة منتجات الألبان ومارست التوليد ، والطب الشعبى . وكان عملها مقبولا اجتماعيا (فاطمة الصايغ ، ١٩٩٥ ، ٢١٤) .

أما حالياً ، وفى أعتاب ظهور النفط وقيام الإتحاد وما تبعها من تحولات ، أتاحت الإمكانات المادية للمرأة فرصة اقتناء أعداد كبيرة من كل قطع الزى ، الذى اختلفت نوعيته وخاماته وطرق زخرفته . كما أصبح لانسحاب المرأة من ميادين العمل التقليدى أثره على تصميمات الزى . فلم تعد المرأة بحاجة للملابس المتسعة ، فقد اقتصر عملها وبنسبة ضئيلة (أقل من ٦ ٪ من القوى العاملة) على الوظائف الحكومية ونلاحظ أن بعض الموظفات احتفظن بزيهن التقليدى ، بينما اتجهت أخريات إلى الزى الأوربى مع الإلتزام العبادة والطرحة (الشيلة) . ولعل هذا يدفعنا إلى تقديم بعض ملامح الزى التقليدى للمرأة فى الجزء التالى .

ج - الزى التقليدى : أهم ملامحه ومكملاته :

تحاول الفقرات التالية إلقاء الضوء على قطع الزى التقليدى للمرأة ، وأهم مكملاته بهدف إبراز الإطار العام للظاهرة موضوع الدراسة - البرقع - وتمهيداً لتناولها بشكل متعمق فى الجزء التالى من البحث . ومن هنا سوف نتناول إشارات لقطع الزى التقليدى ، والحلى ، والحناء والكحل ، والبخور والعطور ، وتسريحات السعر باعتبارها موضوعات هامة يسهم كا منها فى رسم ملامح المرأة فى مجتمع الدراسة .

يتكون زى المرأة من أربع قطع أساسية - لتغطية البدن - هى " الكندرة " ، و" الثوب " و " العبادة " و " السروال " وقطعتين مكملتين للزى لتغطية الرأس والوجه هما الطرحة " الشيلة " و " البرقع " إلى جانب مكملات أخرى للزى كألبسة القدم ، وبعض

الحلى (أنظر الصورة رقم ١) . و " الكندورة " جلباب طويل بأكمام طويلة يفضل أن تكون من قماش منقوش بألوان زاهية ، ومطرزة بنفس الألوان وبخيوط التلى الذهبى والفضى غالباً ، وبفصوص الكريستال أو الخرز . وتتركز أماكن التطريز فى منطقتى الصدر وأساور الأكمام . أما الثوب فهو حالياً من نفس لون " الكندورة " (أنظر الصورتين رقمى ٢ ،٣) . أما " السروال " فهو بنطلون يتميز لالاتساع من أعلى ويزداد ضيقا كلما اتجه نحو الكاحل ، وينتى بإسورة عريضة مطرزة ، وهو يعد حاليا من نفس لون الكندورة ، أو من لون مناسب لها . ومن أهم مميزات السروال أسورته التى يطلق عليها " البادلة " نظراً إلى أنها تطرز فى الماضى بخيوط التلى الفضية ، لذا كانت المرأة تحرص عليها إذا بلى سروالها وتقوم بنقلها إلى سروال أخر جديد أنظر (الصورة رقم ٤ ، والشكل رقم ١) وترتدى المرأة فوق قطع الزى السابقة عباءة فضفاضة وطويلة ن الحرير الأسود بنفس اللون على فتحاتها ، أو من خلال وحدات متناثرة ، ويتم ارتدائها حاليا على الكتف غالباً ، وعلى الرأس أحيانا ، أما غطاء الرأس فهو طرحة " شيلة " من قماش أسود خفيف (شيفون أو كريب) مطرزة بنفس اللون توضع على الرأس مع لفها مة واحدة وتثبيتها على جانب الوجه . هذا روتحرص المرأة المتزوجة أحياناً على ارتداء برقع على وجهها (أنظر الدراسة التفصيلية له) .

صورة رقم (١)

الزى التقليدى للمرأة ومكملاته

وهي صورة متحفية لصهوبة التقاط صورة حقيقية للإخباريات

ويتضح فى الصورة الكندورة والثوب والشيلة ، والبرقع ، والحلى

صـــــــورة رقـــــم (٢)

الصورة نموذج للكندورة ، وفوقها الثوب كقطعتين أساسيتين لزي المرأة حاليا يلاحظ الألوان الزاهية ، وأماكن التطريز في أساور الأكمام وحول الرقبة وفي شكل مربع وهو الشكل المفضل غالبا . كما يلاحظ خفة خامة الثوب فى الصورة رقم (٣)

صورة رقم (٣)

نموذج آخر للكندروة يلاحظ فيه خفة خامة الثوب

صـــــــورة رقـــــم (٤)

الثوب بودايل

كانت المرأة المتزوجة ترتديه فى الماضى . يلاحظ شفافية الخامة ، ومثلثى الإبطين من لون مختلف وهو كان شائعا في الماضي .

كما يلاحظ اتساع فتحتي الأكمام ، وبساطة التطريز.

وقد طرأ على قطع زى المرأة ومكملاته العديد من التغيرات سواء من حيث التصميم أو الخامة أو كم ونوعية التطريز ، يمكن الإشارة هنا إلى أبرزها بالنسبة كل قطعة . فمن حيث تصميم " الكندورة " فقد كانت فى الماضى ذات ذيل متسع من خلال قصتين جانبيتين ، كما كانت مزودة بمثلث تحت الإبط ييسر حركة الزراعين من جانب ويمكن تغييره إذا بلى بمثلث آخر - يلاحظ بساطة الوضع الإقتصادى فى الماضى - (أنظر الشكل رقم ٢) . وكان طول " الكندورة " يقف قبل القدمين بنحو ٢٠ سم وذلك لإظهار أسورة السروال المطرزة . أما الآن فقد تخلت " الكندورة " الحديثة عن القتين الجانبتيين ، وعن الإبط (يلاحظ عدم قيام المرأة حالياً بالأعمال الشاقة التي كانت تؤديها فى الماضى) كما زاد طولها الذى أصبح يصل إلى القدمين زما الثوب فقد احتفظ بخطوط تصميمه فى الماضى . إلا أن بعض الأثواب التى كانت شائعة فى الماضى اختفت حاليا كالثوب " بودايل " الذى كان يذود بذيل من الخلف وترتديه المرأة المتزوجة (أنظر الصورة رقم ٤) بينما بقى الثوب " الدوارى " بدون ذيل ، وقد احتفظ السروال أيضا بأهم خطوط تصميمه ، وإن قل اتساعه عما فى الماضى ، كما ظهرت وانتشرت سروايل جديدة من أقمشة قطنية ناعمة ومزينة بالدانيل بدلا من الأسورة المطرزة إلى جانب سراويل أخرى ذات أساور مطرزة بطرق حديثة (أنظر الصورة رقم ٥) . هذا بينما تغيرت خطوط تصميم العباءة فقد كانت فى الماضى مربعا من قماش مزدوج ، مفتوحة من الأمام وبها فتحتين فى أعلى الجانبين لليدين ، وأصبحت الآن بأكمام (قارن الشكلين ٣ ، ٤) . أما الطرحة " الشيلة " فقد قلت مساحتها ، حيث كانت المرأة تفضلها كبيرة المساحة " وافية " حتى تستعيض بها عن العباءة فى مختلف أنشطة حياتها اليومية لتستر أكبر جزء من جسمها . والجدير بالذكر أن البرقع كان من أكثر مكملات الزى التقليدى للمرأة تغيراً فى شكله وتصميمة وأجزائه هو مادفع إلى تناوله بشكل أكثر عمقا وتفضلا فى الجزء رابعاً.

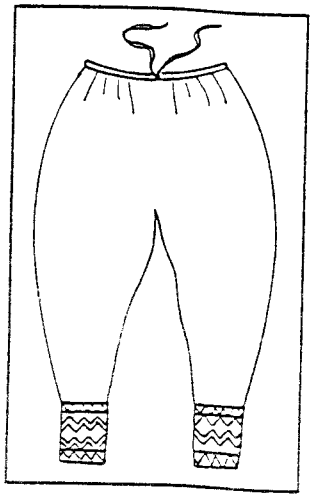

شكل رقم (١)

السروال :

يلاحظ اتساعه من أعلى واتجاهه للضيق من أسفل وانتهائه قرب الكاحل بأسورتين مطرزتين . وكان فى الماضى يزم على خط الوسط بشرط طويل ، أما الآن فيستخدم (الأستك) غالباً

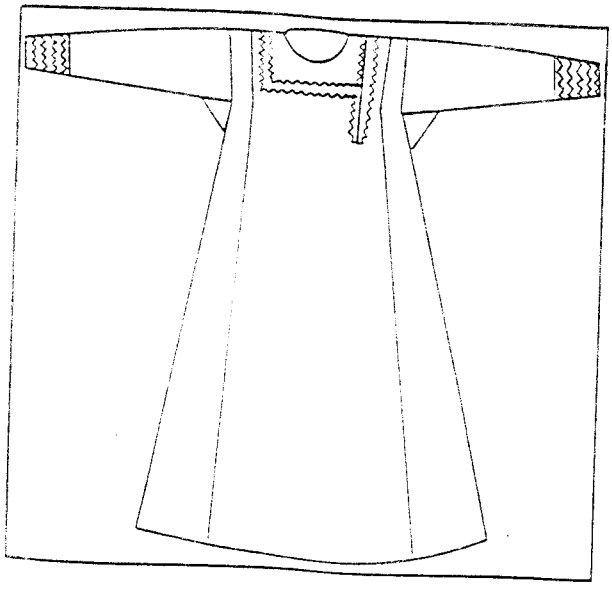

شكل رقم (٢)

الكندورة في الماضي :

يلاحظ القصتان الجانبيتان والمثث تحت الإبط ، كما يلاحظ مكان التطريز على الصدر والأساور وفتحة الرأس الجانبية يحيطها تطريز بسيط.

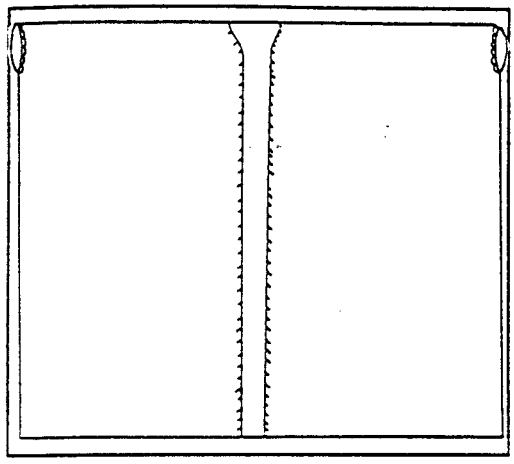

شكل رقم (٣)

العباءة في الماضي :

يلاحظ اتساعها وهى مازالت تستخدم إلى الآن عند كبار السن والمنقبات ، ويتم ارتداؤها بوضعها فوق الرأس

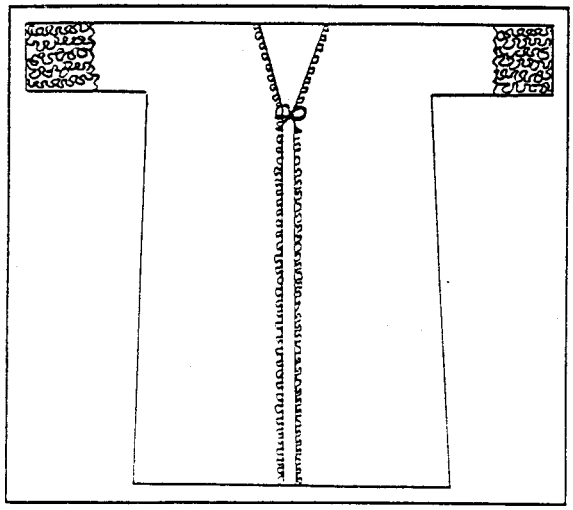

شكل رقم (٤)

العباءة الحديثة :

وهى بأكمام ، ويتم تزينها وفقا للرغبة ترتديها الشابات فى مجتمع البحث غالبا ويطلق البعض عليها " عباية سعودى "

صـــــورة رقـــــم (٥)

مجموعة من أساور السراويل المطرزة بخطوط فضية وذهبية
وملونة ، وبتصميمات متنوعة ونقوش مختلفة تتناسب
مع تنوع الأذواق ، وتتيح فرصة الإختيار.

صـــــورة رقـــــم (٦)

الإخبارية الوحيدة التي سمحت بالتقاط صورة لها ، ترتدى
الزى التقليدى الموجود حاليا فى مجتمع الدراسة وتقوم بعمل التلى الذى يتم
غزله على آله الكاجوجة باستخدام بكرات من الحرير وواحدة من خيوط القصب التلى
لا ستخدامها فى تزين الزى عامة وأسورة السروال خاصة.

أما خامات زى المرأة فقد كانت محدودة فى الماضى - منذ نحو ٨٠ سنة - حيث كانت تجلبها القوافل التجارية ، وكانت الأقمشة سادة (بيضاء) غالباً تقوم المرأة بصباغتها بنباتات متاحة فى البيئة - كان أكثر الألوان انتشاراً الأصفر ، والأزرق . ثم بدأت الأقمشة تتنوع فى خاماتها وأسمائها ، التى هى مستوحاه غالباً من البيئة ، لتصف القماش أو نقشته مثل «نف المطر» و «حبة القهوة» ... إلخ . وشيئا فشيئا تنوعت الخامات لتشمل الحرير الطبيعى والصناعى ، والأقطان ... إلخ ، كما تعددت الألوان وأغلبها منقوش بألوان زاهية ، ومع هذا التنوع أصبحت الخامات تعكس فروقا اجتماعية اقتصادية كان يصعب لمسها فى الماضى .

وإذا انتقلنا إلى التطريز فقد كان بسيطا فى الماضى وبخيوط القطن والحرير غالباً، وبخيوط التلى أحياناً حيث كانت المرأة تقوم بعملها بنفسها من خلال أداة تعرف «بالكاجوجة» (أنظر صورة رقم ٦) . أما الآن فقد تنوعت طرق التطريز وخاماته ، وأصبحت المرأة تفضل أن تطرز القطعة الواحدة بعدة خامات وأنواع حتى أنه يمكن القول بأن التطريز يعد حالياً من أهم مميزات زى المرأة .

والجدير بالذكر أن تمسك المرأة حالياً بقطع الزى الأساسية وبمكملات الزى يختلف باختلاف متغيرات السن ، ومستوى التعليم ، والعمل وتبعاً للمستوى الاجتماعى الاقتصادى . فكبيرات السن هن الأكثر حرصاً على ارتداء كل قطع الزى التقليدى ، كما يحتفظن غالبا بتصميماتها ، أو يطورونها بنسب ضئيلة . أما الشابات فقد بدأت بعضهن التحرر من بعض قطع الزى - خاصة طالبات الجامعة ، والعاملات فى الوظائف الحكومية وغيرها - حيث تخلت ٢٠٪ منهن تقريباً عن «الكندورة» واتجهن للملابس الأوربية . وتخلت ١٠٪ تقريباً عن السروال ، الذى ما زالت الغالبية ترتديه

حتى أسفل الملابس الأوربية . وتخلت ٢٪ تقريباً عن العباءة ، بينما تضاءلت نسبة المتخليات عن «الشيلة» اللاتى لاتتعدى نسبتهن واحد فى الألف ، بينما تخلت نحو ٨٠٪ تقريباً عن البرقع . ولعل تلك النسب التقريبية تعكس أن «الشيلة» تأتى فى مقدمة مكملات الزى التقليدى التى تحافظ المرأة على ارتدائها ، بينما يأتى البرقع فى نهاية مكملات الزى التى تحافظ عليها المرأة . ولعل ذلك يدفعنا إلى الاهتمام باجراء دراسة حالة عن البرقع لما يمكن أن يلحق به أو بكم ارتدائه من تغيرات قد تهدد بقاءه . والجدير بالذكر فى هذا المجال أن الحرص على ارتداء الزى التقليدى يزداد فى المناسبات كالأفراح والأعياد ، كما يختلف باختلاف المستوى الاجتماعى الاقتصادى حيث يزداد الحرص عليه فى المستويات العليا وعند ذوى الانتماءات البدوية .

أما ألبسة القدم الخاصة بالمرأة فقد كانت فى الماضى «نعال» (شباشب) تصنع محلياً من جلود الحيوانات . كما شاع فى الماضى «الزربول» وهو جورب من الصوف كانت تعده المرأة بنفسها ليقى قدميها حرارة الرمال صيفاً ، وبرودة الطقس شتاء . وبمرور الوقت تغيرت ألبسة القدم وإن احتفظت باسمها التقليدى «النعال» واختلفت أشكالها ، وأسعارها ، وخاماتها وهى المفضلة حالياً مع الزى التقليدى . كما بدأت المرأة فى استخدام الأحذية الحديثة ويطلقون عليها «جوتى» وهى كلمة يقال أنها هندية ، أو فارسية ، حيث تتعدد أنواعها وماركاتها وتتفاوت أسعارها تبعاً لذلك .

وإذا انتقلنا إلى بعض طرق التزين والتجميل ، والتى تعد عناصر أساسية فى ثقافة مجتمع الدراسة فإنه يأتى فى مقدمتها الحلى التى كانت تصنع فى الماضى من الفضة غالبا ، ومن الذهب نادراً(عند المستويات العليا) . وقد تنوعت بين الأساور ، وكان أشهرها «بوشوك» (لأن له أطراف مدببه كالشوك) والأقراط وكان من أشهرها «الكواشى» ، وهى تشبه نصف الدائرة التى يتدلى منها أجزاء صغيرة متحركة ،

والخواتم لكافة الأصابع حيث لكل أصبع خاتم خاص به «كالشاهد» و «المرامى» ، و«الكف» وهى مجموعة خواتم للأصابع تتشابك بسلاسل على ظهر كف اليد ، وتنتهى بأسورة فى المعصم . أما حلى الرقبة فكان أشهرها «المرتعشة» وهى عقد ضيق حول الرقبة مكون من وحدات مربعة تتدلى منها سلاسل وأشكال على اصدر ، تتفاوت أطوالها بين عقد وآخر ، حيث تبدأ من ١٠سم ، وقد تصل إلى أكثر من ٢٠سم . إلى جانب السلاسل وأشهرها «السيتمى» - بها عملات - و «المربة» - بها حبات مستديرة أو مستطيلة أو مدببة - أما حلى أعلى الرأس ، والتى يتدلى منها سلاسل على الجانبين ، فأشهرها «الطاسة» ، والهيار» . هذا ، وقد حافظت العديد من قطع الحلى المذكورة على بقائها حتى الآن ، وأصبحت جميعها تصنع من الذهب ، كما أضيفت إليها تصميمات أخرى حديثة ، تأتى من دول مختلفة فأصبحت هناك الحلى الإيطالى ، والسعودى ، والبحرينى ، والهندى وغيرها .

أما الحناء فهى من أكثر عناصر التزين التصاقاً بالمرأة فى الماضى والحاضر حيث تحنى الأيدى والأرجل ، وبعض أجزاء الجسم خاصة قبيل الزواج . وقد كانت المرأة فى الماضى تعد الحناء بنفسها ، فتجمع أوراقها من «السدرة» لتجففها ثم تطحنها وتجهزها للاستخدام . «كان عندهم سدرة يجمعون أوراق الحنة ويبسونها (يجففونها) ويدجونها (يطحنونها)» .

وكان أشهر أنواع الحناء هى «الحنة العمانية» وكانت المرأة تقوم بعجنها بالماء، ومنقوع الليمون الجاف ثم تقوم باستخدامها. وكان من أكثر نقوشها إنتشاراً لحنة السادة «الطرج» و «القصة» وهى عبارة عن مثلث فى كف اليد يتشعب منه خطوط للأصابع الخمس. وكانت المرأة تعيد التحنية مرات متتالية للحصول على لون غامق.

وكانت العروس تستخدم الحناد قبيل زفافها فتقوم إحدى قريباتها بدهن جسمها بالحناء، وبعدها بأيام يقشر الجلد وتحصل العروس على بشرة ناعمة وهى ممارسة تعرف « بغمسة الحنة» .

أما الحناء حاليا، فتفضلها الإناث من كافة الأعمار حيث تفضلها كبيرات السن «سادة» بدون نقوش بينما تفضلها الشابات والأطفال بنقوش «بخش». وقد تخلت المرأة غالباً عن إعداد الحنة ونقشها بنفسها، فقد أصبح هناك متخصصات من الهند وباكستان غالباً يقمن بتلك المهمة، وأصبحت توجد صالونات متخصصة للحناء «صالون كامل حج (حق) الحنة» يحتوى على مجلات وكتالوجات تشمل رسوماً متعددة فى مقدمتها النقوش الهندية التى تتميز بدقتها وإرتفاع أسعارها التى قد تصل إلى ٥٠٠ درهماً لنقش اليدين والقدمين. بينما تقل الأسعار كلما كانت النقوش أكثر بساطة لتصل إلى حوالى ٧٠ درهماً لليدين. هذا، ولم تعد هناك حاجة لإعادة التحنية لمرات للحصول على اللون الغامق حيث تضاف حالياً مواد كيميائية للحصول على اللون المطلوب.

ويعد الكحل أحد عناصر الزينة الأساسية للمرأة فى الماضى والحاضر وقد كانت هناك أنواع مختلفة أشهرها «أثمد» ، و«سراى» . والأول حجارة داكنة اللون تجلب من الجبال، خاصة من المملكة العربية السعودية، ويدق ناعماً ويستخدم. أما النوع الثانى فتعده المرأة بنفسها حيث تأخذ قطعة من شجر «الحرمل» - موجودة فى البيئة - وتشعلها، وتضع فوقها إناء من الصفيح، فتحترق مكونة رماداً يتم جمعه وإستخدامه ككحل بعد خلطه ببعض دهن البقر .

أما حاليا فكلا نوعى الكحل مازالا منتشرين، ولكن المرأة لاتعدها بنفسها. وإنما

يتم شراؤهما من المحلات. كما ظهرت أنواع أخرى جديدة من الهند، ومن ماركات أخرى عالمية.

والجدير بالذكر أن المرأة فى مجتمع الدراسة قديماً لم تكن تستخدم أى مواد لتلوين الشفتين، باستثناء إستخدام نبات «الديرم» أحياناً الذى كان يصبغ الشفتين باللون البرتقالى. وقد إستنكرت غالبية الإخباريات تلوين الشفتين فى الماضى. بينما حالياً تستخدم الشابات - فقط - أحمر الشفاه من ماركات متنوعة، وفقاً للمستوى الإجتماعى الاقتصادى .

وإذا إنتقلنا إلى العطور والبخور فهى من أهم عناصر تطيب وزينة المرأة فى الماضى والحاضر. وقد إستخدمت المرأة فى الماضى لذلك بعض النباتات المتاحة فى البيئة مثل «الورث»، وهو حبوب صفراء عطرية تدق وتستخدم لتعطير الثياب، وكانت تستخدم أحياناً لصباغة الأقمشة باللون الأصفر. كما كان جسم العروس يدهن بخليط منه مع مادة النيل عدة مرات قبيل الزواج، ثم تستخدم قطعة من الفخار - تحرق، وتطحن - يفرك بها الجسم فيكتسب نعومة وبياضاً . ومن النباتات العطرية المتاحة فى البيئة أيضاً نبات «إلياس». وهى شجرة مورقة، تجمع أوراقها وتجفف وتفرك ويحتفظ بها. وعند إستخدامها تعجن بالماء لتتعطر بها المرأة وتعطر شعرها. كما أعدت المرأة فى الماضى «المخمر» وهو خليط من المسك والزعفران وبعض النباتات كالمحلب وغيره، حيث تطحن وتخلط ويحتفظ بها للإستخدام. كما عرف البعض العطور الهندية - العود، ودهن المواد - التى كانوا يحصلون عليها من خلال الأسف الأسفار والرحلات التجارية .

ومازالت العطور والبخور يمثلان موضوعين أساسيين فى ثقافة مجتمع الدراسة لا

يخلو منها بيت ولا مناسبة. وأشهر أنواع البخور «العود» (أعواد من الخشب العطرى يحرق ويبخر به) وقد تنقع تلك الأعواد فى العطر ثم تحرق، قد تطحن بعد نقعها فى العطر وتعجن ببعض العطور وقليل من السكر لتتماسك وتشكل أقراصاً ويطلق عليها «معمول» أو «دخون». وقد تعددت أسماء البخور الجاهزة حالياً وفقاً لمكان الصنع (جبل على) أو النوع «دهنى» و «الرصاصى» و «التركيبة». أما العطور فلا يخلو منها أى بيت، وهى توضع فى زجاجات من الكريستال على حامل ذهبى غالباً، وتقدم للضيوف قبيل إنصرافهم. ومن أشهر أنواعها زيت دهن العود، والزعفران، والعنبر وجميعها يجلب من الهند. إلى جانب العطور الفرنسية والأمريكية الحديثة والتى تستخدم فى زجاجاتها الرشاشة أو توضع فى «مرش» خاص بها .

وإستكمالاً لصورة المرأة لابد من الإشارة إلى إهتمامها بشعرها الذى تفضله طويلاً، وكانت المرأة فى الماضى تقوم بتعطيره بنبات إلياس، ودهنه بالزبد الناجم عن خض حليب الإبل، أو ببعض الزيوت التى تجلب من الهند. وكانت المرأة تستخدم فى الماضى أمشاطاً من الخشب. وكان من أشهر التسريحات «العجفة» وهى ضفائر على جانبى الرأس يتم ربطها خلف الرأس بشكل عكسى، وكلما كان الشعر أطول وأغزر كانت «العجفة» أكبر وهى المفضلة لدى المأة أما حالياً ومع استمرارية تفضيل الشعر الطويل فإنه كثيراً ما يترك مسترسلاً التسريحات (فى الصالونات المخصصة لذلك و المنتشرة في مجتمع الدراسة) مع الحرص على تزيينه بالأكسسوارات اللامعة غالباً .

رابعاً : دراسة حالة عن البرقع كأحد مكملات زى المرأة

أوضحنا فيما سبق الإطار الايكولوچى والاجتماعى للبحث من خلال بعض الملامح البيئية والتاريخية والجغرافية لمجتمع الدراسة، ثم أهم ملامح الحياة الاجتماعية، تلاها أهم القطع الأساسية لزى المرأة التقليدى ومكملاته . وهى جميعها تمثل الإطار العام للبرقع كموضوع لدراسة الحالة فى الجزء التالى من البحث الذى يحاول إلقاء الضوء على ماهية البراقع من خلال عرض ما جاءت به الدراسات السابقة، وما جاءت به الدراسة الميدانية فى هذا المجال . والجدير بالذكر فيما يتعلق بالدراسات السابقة أنه لم تخصص للموضوع دراسة مستقلة، وإنما تضمنت بعض الدراسات القليلة اشارات متفرقة عن البراقع ضمن موضوعات أخرى، وقد تنوعت تلك الدراسات فى تخصصاتها بين مجالات علم الفولكلور، والتاريخ وغيرهما، كما تنوعت مكانياً فغطت مجتمعات عربية ما زال البرقع فيها أحد مكملات الزى الخاص بالمرأة وفى مقدمتها مجتمعات الخليج وشبه الجزيرة العربية، ومجتمعات عربية أخرى استخدمت نساؤها البراقع فى الماضى كالمجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وبالتالى تنوعت الدراسات زمنياً أيضاً .

هكذا، وعلى الرغم من قلة هذه الدراسات، إلى جانب بعض أوجه القصور فيها إلا أنه كان لتنوعها مكانياً، وزمانياً فضل إمدادنا بنظرة أوسع عن ملامح البرقع وانتشاره فى المجتمعات العربية . ومنا هنا، سوف يتم تناولنا لكل جزئية من أجزاء البرقع انطلاقاً مما قدمته الدراسات السابقة حولها، فى محاولة لمقارنتها بما جاءت به الدراسة الميدانية . بينما يقتصر تناولنا للجزئيات التى لم تتناولها تلك الدراسات على

ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية وحدها سواء فى الماضى أو الحاضر .

ويشمل الجزء التالى نتائج الدراسة مقسمة على ست نقاط هى : مسميات البرقع، وماهيته وخصائصه وتغير وظائفه، ومناسبات ارتدائه ورمزيته، ثم أغطية أخرى لوجه المرأة، وأخيراً طرق إنتاج البرقع وصيانته، وأسعاره .

١- مسميات البرقع :

اختلفت مسميات البرقع بين مجتمع وآخر وبين فترة زمنية وأخرى، كما اختلطت وترادفت أحياناً . فقط اطلق «ابن سيدة» فى حديثه عن لباس الرأس الخاص بالنساء «البخنق» (١) . ووصفه بأنه «برقع صغير تلبسه المرأة يغطى رأسها ما قبل وما دبر من غير وسطها» . (صلاح حسين، ١٩٨٠ : ١٥٨) كما استخدم وليم لين «لفظى البرقع والنقاب كمترادفين (وليم ولين، ١٩٥٠ : ٤٤)، وكذلك «دوزى» الذى استخدم لفظى الخمار والبرقع كمترادفين (ثناء بلال، ١٩٨٣ : ٦٩) . وذكرت «صبيحة رشدى» فى حديثها عن لباس الرأس للمرأة أن الخمار هو الحجاب أو القناع وهو برقع المرأة (صبيحة رشدى، ١٩٨٠ : ٤٣) . وأشار «أسامة فوزى» إلى أن للبرقع اسم آخر هو «النقاب» كما يشتهر باسم «البطولة» (٢) (أسامة فوزى، ١٩٨١ : ١١٠) .

«والبرقع» هو التسمية الشائع استخدامها فى مجتمع الدراسة مع تحويل القاف إلى جيم عند النطق فيقال «برجع» . كما قد تطلق عليه مسميات إضافية تعكس إما

---

(١) البخنق كلمة عربية قديمة مشتقة من المخنق، وهو اصطلاح يطلق على غطاء الرأس الذى يشد أسفل الذقن على الرقبة تماماً ويغطى الرأس والصدر والظهر إلى أسفل الخصر تقريباً (أنظر مجلة العربى، ١٩٨٦ : ٢٦) .

(٢) البطولة اسم يطلق على البرقع فى بعض الدول ومنها دولة قطر .

طريقة استخدامه أو مكان صناعته وارتدائه أو القبيلة التى شاع استخدامه بين نسائها فى مجتمع ما قبل النفط والاتحاد . فيقال برقع «منكوس» على البرقع الذى يميل أعلاه إلى الأمام أثناء ارتدائه نتيجة لشد «الشبق» الأسفل، وترك الأعلى مرخياً . كما قد يطلق على البرقع اسم المنطقة التى تمت صناعته فيها، وشاع استخدامه بين نسائها . وغالباً ما تستخدم تلك التسمية خارج نطاق المنطقة كأن يقال «برقع عيناوى» نسبة إلى مدينة العين، والتى يستخدمها بشكل خاص من هم من خارج المدينة . يحمل البرقع العيناوى ملامح خاصة أبرزها أنه أصغر مساحة، وأكثر لمعاناً، ويميل لونه إلى الذهبى المائل للأخضر . كما قد يقال برقع «النقبيون» نسبة إلى القبيلة التى اعتادت ارتداءه فى الماضى، وهكذا .

٢- ماهية البرقع، وخصائصه، وتغير وظائفه :

البرقع هو غطاء لوجه المرأة غالباً، ولبعض من أجزاء جسمها أحياناً، تم استخدامه عبر مراحل تاريخية، وعبر ثقافات مختلفة عربية وغير عربية . فقد كان وما زال أحد مكملات الزى التقليدى للمرأة فى مجتمعات الخليج وشبه الجزيرة العربية، بينما ندر استخدامه حالياً فى مجتمعات عربية أخرى كالمجتمع المصرى حيث يعد قاصراً على بعض المناطق البدوية فقط . ورغم أننا لسنا فى مجال تأصيل البرقع، وتتبع نشأته الأولى، إلا أن هناك تأكيداً من بعض الدراسات على أن نساء بنى العباس هن أول من ارتدينه، كما استخدمه الأتراك والأكراد واليهود وغيرهم . وقد أرجع عدد من المؤرخين ظهوره فى العصر العباسى إلى الانفتاح الاجتماعى، وتبذل الفارسيات الذى فاق الحدود مما أدى إلى ردة فعل عكسية جعلت العربى يسعى لحماية إمرأته ويحرص على

ارتدائها للبرقع (أسامة فوزى، ١٩٨١ : ١١٠) .

وتختلف البراقع فى خصائصها حيث تختلف ألوانها، وأشكالها، وخاماتها، ومساحتها، ووظائفها ... إلخ فقد كان اللونان الأبيض والأسود هما أكثر الألوان استخداماً فى البراقع . حيث أشارت إحدى الدراسات إلى أن الخمر السود لم تكن شائعة فى الحجاز فى بداية الإسلام بل كانت فيما يبدو شائعة فى العراق . وقد روى الأصفهانى «أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمر فباعها كلها، وبقيت السود منها فلم تنفق . وكان صديقاً للشاعر «الدارمى» فنظم له قصيدة مطلعها :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبد

فلم تبق فى المدينة «ظريفة» إلا وابتاعت خماراً أسود . ومنذ ذلك الحين عم استخدام الخمر السود فى المدينة (صبيحة رشدى، ١٩٨٠ : ٤٣) . ووصف «وليم لين» البرقع الذى ارتدته المرأة المصرية فى القرن التاسع عشر بقوله : «غطاء الوجه، وهو عبارة عن قطعة طويلة من الموصلى الأبيض تحجب الوجه كله ماعدا العينين، وتسقط حتى «القدمين» . (وليم لين، ١٩٥٠ : ٤٤) ووصفه «أحمد أمين» فى منتصف القرن العشرين بأنه «غطاء يغطى وجه المرأة كان فى أول أمره أبيضاً وأسوداً، وكان عريضاً حتى يدارى صدغى المرأة إلى أذنيها، ولكنه أصبح من الكريشة أو الحرير الأسود، بينما تتبرقع الفقيرات بقطعة قماش من القطن أو الكتان . (أحمد أمين، ١٩٥٣ : ٨٥) . وأكدت دراسة حديثة «لنجله العزى» أن البرقع هو قناع أبيض أو أسود يغطى الوجه، مثقوب العينين (نجله العزى، ١٩٨٦ : ٦٧) بينما أشارت دراسة حديثة عن البرقع فى إحدى قبائل سيناء بأن ألوانه تدور حول درجات الأحمر الغامق والفاتح (نهلة إمام، ١٩٩٤ : ١١٩) .

أما البرقع فى مجتمع الدراسة فهو أحد مكملات الزى التقليدى، وهو غطاء للوجه - ترتديه المرأة بعد زواجها تعبيراً عن تغير مكانتها الاجتماعية - تختلف بعض تفاصيله كمساحته، وألوانه تبعاً لبعض المتغيرات، بينما تتشابه تفاصيله الأخرى كخامته وأجزائه، وزينته، على نحو ما سوف يتضح فى الأجزاء التالية . فقد لعبت متغيرات الزمان، والسن، والذوق العام دورها فى تغير مساحة البرقع وألوانه . فكانت مساحته فى مرحلة ما قبل النفط والاتحاد كبيرة (١) ليغطى كل ملامح الوجه باستثناء العينين وظلت تتناقص فى السنوات الأخيرة حتى أصبح لا يغطى سوى الحاجبين والمنطقة بين الأنف والفم حتى أنه قد يوحى للوهلة الأولى بشكل الشارب فما زالت النساء كبار السن يرتدين البرقع الكبير نسبياً والذى اعتدنا ارتداءه فى شبابهن، بينما اتجهت الشابات إلى البرقع صغير المساحة حيث تختار كل سيدة البرقع المناسب لذوقها الخاص والذى يتناسب أيضاً مع ملامح وجهها .

أما عن ألوان البراقع فهى داكنة اللون ولامعة بوجه عام (أنظر خامة البرقع) . وكانت فى الماضى تميل إلى اللون الأزرق النيلى أو المائل للحمرة، بينما أصبحت حالياً ذهبية اللون وتميل إلى اللون الأخضر، وإن كان ذلك يختلف أيضاً تبعاً للسن فما زالت النساء كبيرات السن تفضلن البرقع النيلى أحياناً، بينما تفضل الشابات ومتوسطات السن البرقع الذهبى المائل للأخضر . وبالتالى تعكس مساحة البرقع ولونه فروقاً عمرية فى المقام الأول، حتى أنه يمكن تقدير عمر المرأة فى مجتمع الدراسة من مساحة

(١) تشير الشواهد الميدانية إلى اختلاف مساحة البرقع بين بعض الثقافات الفرعية . فما زال البرقع الكبير منتشراً فى بعض المناطق كالمناطق البدوية الشمالية الشرقية بينما تناقصت مساحته فى مناطق أخرى ومنها مدينة العين

برقعها ولونه .

هذا، بينما يتشابه البرقع فى مجتمع الدراسة من حيث خامته، وأجزائه، وزينته . فهو يصنع من قماش خاص لامع، تشبه لمعته لمعة المعدن خاصة النحاس، وهو مبطن من الداخل بطبقة من «النيل» وهى خامة زرقاء اللون يكتسبها القماش من خلال نقعه بها أثناء صناعته حتى أنه يطلق عليها «رقعة النيل» كما يطلق عليه «ندوة» . وهو لفائف «طوايق» تستورد من الهند والصين – فى الماضى والحاضر – مما يعكس الاتصال الثقافى التاريخى بين مجتمع البحث وتلك الحضارات القديمة (١) . ساعد على ذلك الموقع الجغرافى لمجتمع الإمارات ، وانفتاحه على المحيط الهندى من خلال خليج عمان . والجدير بالذكر أنه رغم تشابه خامة البرقع إلا أنها تختلف فى جودة صناعتها، فبعضها يظهر عليها بقع العرق بسهولة، وتفقد رونقها بسرعة، بينما بعضها الآخر أكثر تحملاً . (أنظر Katherine A. Bowie, 1993, 152) وأفضل أسماء الأقمشة المطروحة فى الأسواق حالياً هى «نيقولاس»، و «الماسة» و «النجمة» بينما «التليفون» يليه «الصاروخ» يعدان أقل جودة . وهى أسماء الماركات المطبوعة على القماش . وتحرص المرأة، خاصة من أصحاب المكانة الاجتماعية المرتفعة، على جودة خامة البرقع التى تعطى له رونقاً محبباً . ولكننا لا نستطيع القول أن جودة الخامة تعكس فروقاً اجتماعية، حيث أن تفاوت أسعاره باختلاف خامته تعد ضئيلة من جانب،

(١) تؤكد المخلفات الأثرية المتنوعة أن المنطقة كانت آهلة بالسكان منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وربما قبل ذلك، وأنها قد تأثرت وأثرت فى الحضارات المجاورة وبخاصة حضارات وادى الرافدين والسند، والشرق الأدنى، وكانت حلقة وصل بين حضارات العالم القديم (البدر سليمان، ١٩٨٣ : ٨١) كما كان القرب الجغرافى مع الدول المجاورة دوراً واضحاً فى اختلاط السكان من خلال الهجرات . (عمر فاروق، ١٩٨٣ : ٢١)، (ناصر حسين، ١٩٨٧ : ٢٥) .

كما أن أسعاره تعد فى متناول الجميع نظراً لارتفاع دخل الفرد بوجه عام من جانب آخر (أنظر المجتمع المحلى) .

وإذا انتقلنا إلى أجزاء البرقع فهى واحدة تقريباً قديماً وحديثاً، إذ يتكون من الجبهة، والسيف، وعين البرقع، والخدة، والشبق، وجسم البرقع . ومع ذلك فقد اختلفت تفاصيل كل جزئية وتغير شكلها بين مرحلتى ما قبل، وما بعد ظهور النفط وقيام الاتحاد . وقد صاحب ذلك أحياناً تغير فى وظائفها، على نحو ما سيتضح فى الفقرات التالية .

أ) **الجبهة** : وعند نطقها تحول الجيم إلى باء لتنطق «اليبهة»، وهى الجزء العلوى من البرقع، وكان يبلغ طولها فى مرحلة ما قبل النفط والاتحاد - من ٧ - ١٠سم، وكانت وظيفتها تغطية الجبهة . أما فى البرقع الحالى فقد اختفت وظيفتها ونظراً لقصر طولها إلى أقل من ١سم أصبحت لا تغطى سوى الحاجبين فقط (أنظر الصورتين ٧، ١٠ والشكلين ٥، ٦) وبذلك فقد صاحب تغير شكل الجبهة تغير فى وظيفتها .

صورة رقم (٧)

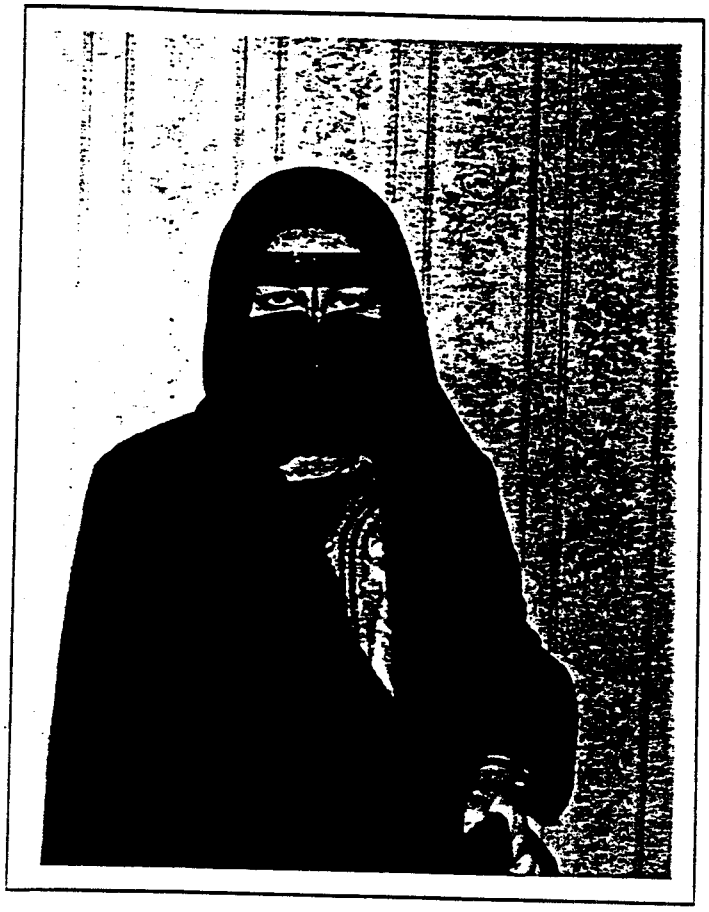

الصورة لبرقع من الماضى يلاحظ كبر مساحة البرقع، وعرض الجبهة، وضيق فتحات العين.

صورة رقم (٨)

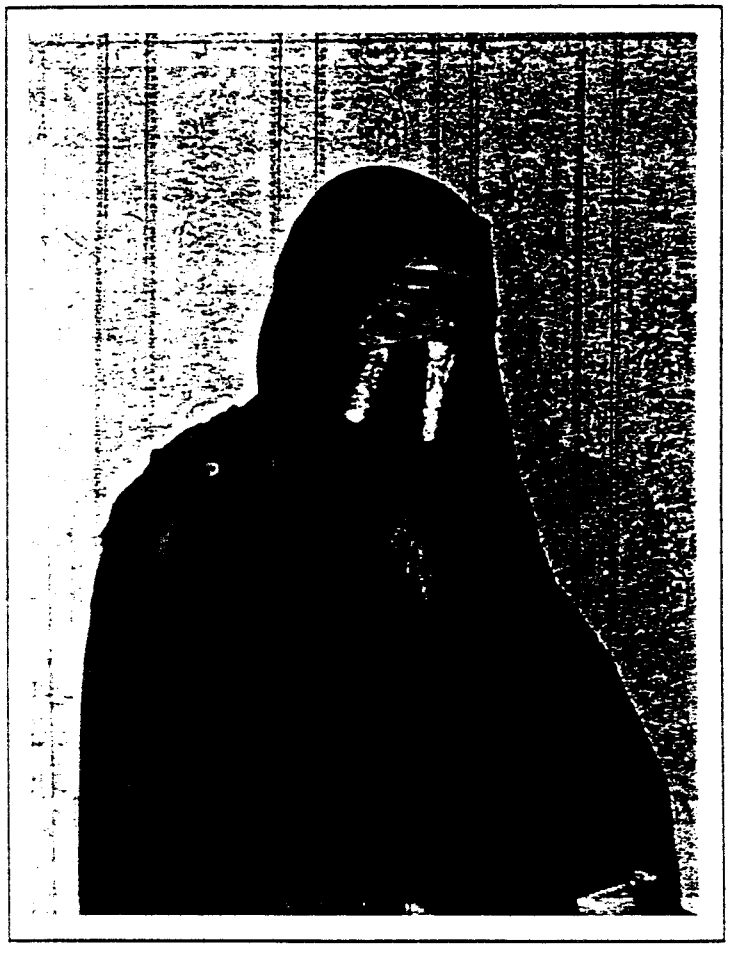

صورة أخرى لبرقع من الماضى يلاحظ كبر مساحة البرقع، وعرض الجبهة، وضيق فتحات العين.

صورة رقم (٩)

الصورة رقم (٩) لبرقع من الماضى

صورة رقم (١٠)

البرقع الحديث الذى ترتديه الشابات حالياً ويلاحظ فروق التصميم فى الجبهة والعين، وجسم البرقع. كما يلاحظ فروق لون الخامة.

شكل رقم (٥)

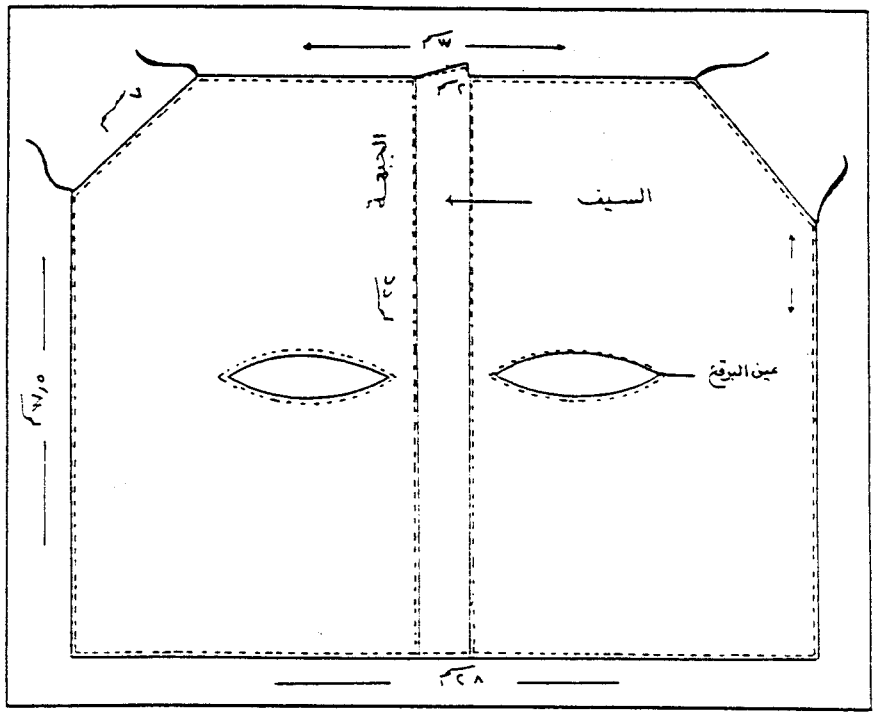

تفاصيل وأبعاد أحد أشكال البراقع فى الماضى يلاحظ عرض الجبهة، وجسم البرقع، والسيف. كما يلاحظ ضيق فتحات العينين.

شكل رقم (٦)

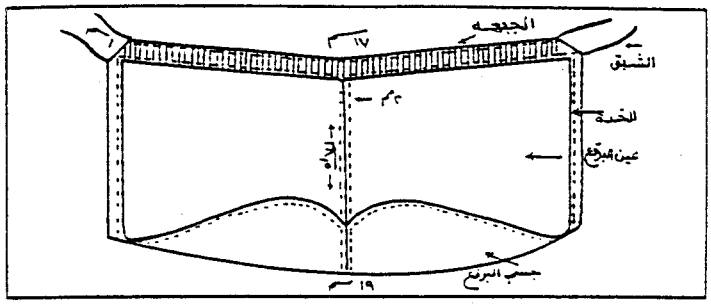

برقع حديث ترتديه الشابات المتزوجات يلاحظ قصر طول الجبهة، وجسم البرقع، وقلة عرض السيف، واتساع فتحات العين. وهو نفس برقع متوسطات السن مع زيادة طول جسم البرقع.

شكل رقم (٧)

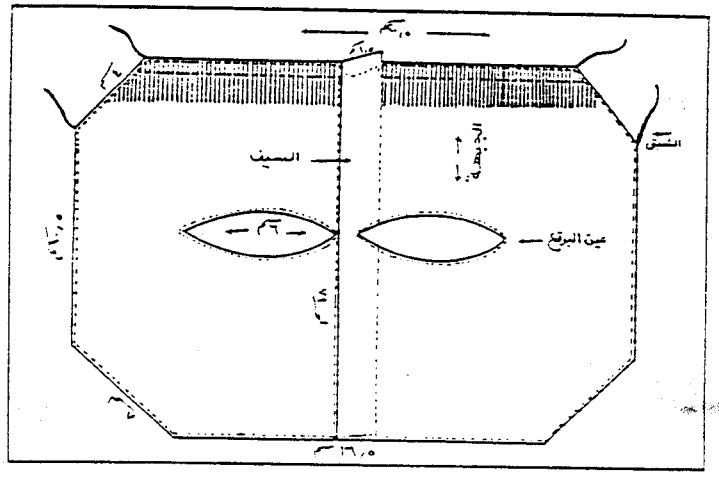

برقع من الماضى يلاحظ تفاصيله وأبعاده حيث عرض الجبهة وجسم البرقع، والسيف، وضيق فتحات العين، وقصة نهايته من أسفل.

ب) **السيف** : هو أكثر الأسماء شيوعاً، كما قد يطلق عليه «المسجة» أو «القضاب» أو «الحطبة» وهو الحد الذى يمر فوق الأنف رأسياً من أعلى البرقع حتى أسفله . فهو بمثابة الجزء المقابل للقصبة فى البرقع الذى شاع استخدامه أوائل القرن الحالى فى المجتمع المصرى . وربما يعكس استخدام اسم «سيف» تأثير البيئة العربية . وقد تغير عرض «السيف» وتضاءل، إذ كان حوالى ٢سم أو أكثر أحياناً، وأصبح حوالى ٢مم . وكان يقوى من الداخل بقطعة من جريد النخل، وأصبح يقوى بجزء رفيع يؤخذ من عصا «الآيس كريم» (١)، أو من قطعة الخشب التى يستخدمها أطباء الأنف والأذن والحنجرة فى الكشف عن مرضاهم والمعروفة باسم ضاغط اللسان Tongue De-pressor . وقد يعكس هذا نوعاً من التأثير الإيكولوچى حيث استخدام عناصر من البيئة سواء قديماً أو حديثاً . وتتلخص وظيفة السيف فى كونه يساعد على استقامة البرقع، أو كما يقال عنه أنه العمود الفقرى للبرقع، ولم يصاحب تغير الشكل هنا تغير فى الوظيفة (قارن الشكلين ٥، ٦) .

ج) **عين البرقع** : وهى الفتحات التى تسمح للعينين بالرؤية، وتعد من أكثر أجزاء البرقع تغيراً . فقد كانت الفتحات فى الماضى ضيقة، وتتخذ شكل العين، وأصبحت متسعة إلى نهاية جانبى الوجه (أفقياً)، وإلى فتحتى الأنف (رأسياً) حتى أنهما تظهران الخدين كاملين . ومع تغير الشكل، تغيرت الوظيفة التى كانت فى الماضى ستر أجزاء الوجه، وتحولت إلى وظيفة جمالية غالباً هدفها الزينة وإبراز جمال الوجه بشكل عام، والعينين بشكل خاص . (قارن الصورتين ٧، ١٠ والشكلين ٥، ٦) .

د) **الخـــدة** : للبرقع خدان، وهما جانبان رفيعان فى البرقع يصلان بين الجبهة،

---

(١) شكل من أشكال الآيس كريم الذى يحمل على عصا أثناء تناوله .

وجسم البرقع . وقد كانا امتداداً لجسم البرقع فى الماضى، حيث كانت عينا البرقع – كما سبقت الإشارة – هما الفراغان الوحيدان به . ومع استحداث الخدة فإن وظيفتها الحالية هى ترابط أجزاء البرقع وتماسكها . (قارن الشكلين ٥، ٦) .

هـ) **الشبـق** : وعند نطقه تحول القاف جيماً معطشة فيقال «شبج»، ويطلق عليه أيضاً الشبوق، أو الشوقب . وهو خيوط تثبيت البرقع على الوجه . وهما خيطان يثبت كل منهما فى إحدى الزوايا العليا للبرقع، ويكون خيط الجهة اليسرى غالباً أقصر من الجهة اليمنى، ويعقد الخيطان الأقصر فى الأطول خلف الرأس بشكل يسمح بتحريك العقدة للتحكم فى اتساع أو ضيق الشبق عند ارتداء البرقع أو خلعه . ولم يطرأ تغير على شكل الشبق سوى فى خامته فقد كان يصنع فى الماضى من الخيط السميك الأحمر اللون، وأصبح من التلى اللامع، أو الخوص الذهبى أو الفضى مع ألوان أخرى. وبذلك جمع الشبق بين وظيفته الأصلية – تثبيت البرقع – إلى جانب وظيفة حديثة جمالية، حيث تعد الخيوط الفضية والذهبية شكلاً من أشكال الزينة، كما تحرص الشابات على ارتداء براقع تتفق ألوان الشبق فيها مع ألوان ملابسهن كشكل من أشكال الزينة .

و) **جسم البرقع** : يمتد هذا الجزء فى البرقع التقليدى من فتحتى العينين إلى أسفل الذقن، أو بداية الصدر أحياناً . وقد تناقص طوله وأصبح لا يتعدى السنتيمترات نتيجة لاتساع فتحتى العينين من جانب، وعدم الحرص على تغطية الفم والذقن من جانب آخر . وبالتالى أصبح هذا الجزء يبدأ مع فتحات الأنف، ويكاد لا يغطى الفم (قارن الصورتين ٧، ١٠) وتغير خط نهاية جسم البرقع من أسفل، فقد كان مستقيماً

غالباً، وأصبح يأخذ شكلاً منحنياً باستدارات خفيفة (قارن الصور من ٧-١٠ والأشكال من ٥-٩) . ومع تغير شكل هذا الجزء تغيرت وظيفته فقد كان لستر أجزاء الوجه أسفل العينين، وأحياناً الرقبة، بينما فقد تلك الوظيفة حالياً، وأصبح يؤدى وظيفة جمالية من خلال إبراز جمال بعض أجزاء الوجه أو زينته وقد ذكرت الإخبارية رقم (١) فى ذلك : «كيف نارى كريستيان ديور» (*) .

لعل استعراض أجزاء البرقع، وما طرأ عليها من تغيرات فى الشكل والوظيفة فيما بين مرحلتى ما قبل وما بعد النفط والاتحاد، لعل ذلك يوضح أن سرعة شكل البرقع هى انعكاس لسرعة التغير الملموس فى كافة أوجه الحياة الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية خاصة مع تزايد الهجرات الوافدة من ثقافات مختلفة . كما يشير تغير البراقع إلى أن التغير يتجه نحو السفور، وإن كانت دراسة الواقع تكشف عن وجود ما يمكن أن نطلق عليه بدائل - ممثلة فى النقاب - والتى رغم كونها ليست من طرح الثقافة نفسها، فإنها قد تمت استعارتها من ثقافات أخرى مجاورة، حيث بدأ استخدامها كبديل للبرقع . وهكذا يتغير مسار التغير مرة ثانية متجهاً نحو التحجب وهو ما يعد تفاعلاً آخر بالواقع الإيكولوجى والاجتماعى لمجتمع الدراسة .

* وتقصد بالطبع أحمر الشفاه .

شكل رقم (٨)

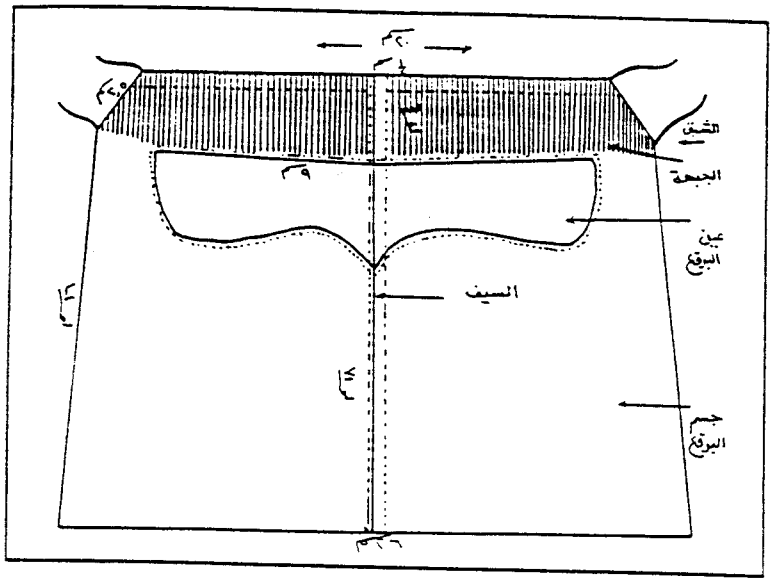

برقع من الماضى يلاحظ تناقص عرض الجبهة وجسم البرقع والسيف، مع اتساع فتحتى العين.

شكل رقم (٩)

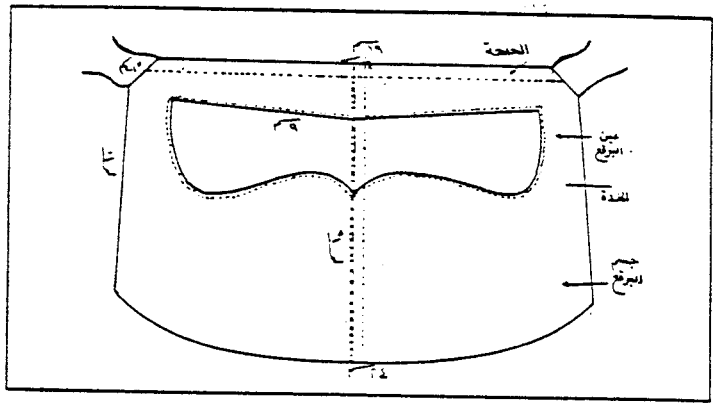

برقع من الماضى ويلاحظ مزيد من التناقص فى عرض الجبهة وجسم البرقع والسيف مع اتساع فتحتى العين وقصى نهايته باستدارة.

وإذا انتقلنا إلى زينة البرقع، فقد كانت من الموضوعات التى نالت قدراً من اهتمام الدراسات السابقة التى وصف بعضها تلك الزينة - فى مصر فى منتصف القرن الحالى - فى القصبة التى تصنع من الذهب أو الفضة المطلية بالذهب، أو من النحاس .. وقد زينت بعض البراقع التى أطلق عليها «المشخلع» بفتحات واسعة أو ضيقة فى أشكال هندسية مثلثة أو مربعة أو مخمسة . بينما زينت نساء الشرقية براقعهن بقطع من الذهب تسمى «غازى أو بندقى» ترتبها الفتيات صفوفاً من أول البرقع إلى آخره، كما يضعن تحت القصبة مرجاناً . (أحمد أمين، ١٩٥٣ : ٨٥) ووصفت دراسة حديثة حول بدو سيناء زينة البرقع بأنها تتمثل فى «القرم - قصبة البرقع - وهى عبارة عن عمود من الحبات المستديرة متوسطة الحجم والتى يتراوح عددها بين ٩-١٥ حبة. و «السبيلة» وهى خط من العملات الذهبية يبدأ من نهاية «القرم» حتى نهاية البرقع»، وعلى جانبيه صفوف أخرى من العملات «خدادات» ، و «الشكة" وهى صفين متجاورين من العملات الذهبية على كل من جانبى البرقع . و «السمك» «والحمام» لزينة الجبهة، حيث تتنوع تلك العملات والأشكال بين الذهب الخالص عيار ٢١ أو ٢٤، وبين القشرة . (نهلة إمام، ١٩٩٤ - ١١٩) .

وأضافت دراسات أخرى فى قطر، أجزاء أخرى من الجزيرة العربية أن المرأة تتعمد تزيين برقعها على الجبهة بحلى على شكل نجوم أو عملات، كما تستبدل خيوط ربطه على الرأس بحلقات من الذهب الخالص (Kalthem, 1993 : 10) . كما تبالغ المرأة البدوية بزخرفة البرقع بأهداب وشراشيب، وبحبات اللؤلؤ والخرز (نجلة العزى، ١٩٨٦ : ٢٥) أو بالعملات والأزرار (Andrea, 1989, 65) .

ومن اللافت للنظر أن البرقع فى مجتمع الإمارات لا يزين بالأشكال الواردة فى

الدراسة السابقة (١)، وأن البرقع المزين والذى يطلق عليه برقع بنجوم «نيوم» أو «بمشاخص» لا يوجد فى المجتمع الحديث . وربما وجد فى الماضى عند بعض القبائل البدوية عمانية أو قطرية الأصول . وقد عبرت الإخبارية رقم (٦) عن استنكارها ارتداء البرقع المزين بقوله : «كانوا ولادنا يخلونا عبره لمن يستعبر لو زيناه» .

وقد يعكس هذا خصوصية مجتمع الإمارات فى الماضى رغم الصلات الحضارية بالحضارات المجاورة، فقد يكون لظروف البيئة القاسية، وصعوبة الحياة فيها دورها فى زيادة التجانس، والإقلال من حدة التباين الاجتماعى . وبالتالى لا تعكس زينة البرقع فى مجتمع الدراسة المكانة الاجتماعية نظراً لبساطتها التى تتمثل فى كونه لامعاً براقاً، إلى جانب الكسرات الرفيعة التى تزين الجبهة، واستخدام الخوص الذهبى أو الفضى فى صناعة الشبق وحياكة أطراف البرقع . وهى أشكال من الزينة طرأت على البرقع الحديث ومتاحة للجميع، وتفضلها الشابات ومتوسطات السن، قليلاً ما تستخدمها كبيرات السن اللائى يفضلن الشبق الأحمر القديم والحياكة بخيوط غير لامعة، بل إن بعضهن ترفضن حياكة البرقع باستخدام الماكينة، ويفضلنه يدوياً، وباستخدام الخيوط المصنوعة من الجلد أحياناً (أنظر فقرة انتاج البرقع) مما يعكس تمسكاً من قبل النساء من كبار السن بالبرقع التقليدى بكافة تفاصيله فى مقابل حرص الشابات على التجديد وتقبلهن له .

والجدير بالذكر أن تتبع ماهية البرقع وخصائصه فى الدراسات السابقة قد أسفر

---

(١) يعتقد البعض فى مجتمع الدراسة أن المرأة تزين برقعها فى حالات خاصة عندما تكون واقعة تحت تأثير الجان ويأمرونها بتزيين برقعها فتستجيب لمطالبهم .

عن أن التغير يلحق بمساحة البرقع، وألوانه وزينته ... بينما يكمن الثبات فى وظيفته الأساسية وهى الاحتشام (١)، أو ستر معالم الوجه وإن اختلفت تلك الوظيفة تبعاً لاختلاف مساحته وشكله بين ثقافة وأخرى - وزمن وآخر - فقد حدد «دوزى» مثلاً وظيفة البرقع فى تغطية مقدمة العنق، والذقن، والفم (ثناء بلال، ١٩٨٣ : ٦٩) بينما كانت وظيفته عند «وليم لين» تغطية الوجه، وأمام جسم المرأة حتى قدميها كما سبقت الإشارة . وأكدت دراسة أجريت عن مجتمع الإمارات أهمية البرقع فى ستر وجه المرأة، وأن «هناك صعوبة شديدة فى التخلى عنه حيث يُعد هذا التخلى خدشاً مقصوداً لوجه الحياء لا يمكن أن تجرؤ عليه المرأة، فهو البارزة فى لباس النساء (أسامة فوزى، ١٩٨١ : ١١٠-١١٢) .

وعلى الرغم من كل ما أشارت إليه الدراسات السابقة حول الاحتشام والستر كوظيفة أساسية للبرقع، أسفرت الدراسة الميدانية عن أنه فى أعقاب ظهور النفط وقيام الاتحاد، ونظراً لتناقص مساحة البرقع بشكل تدريجى ومستمر حتى الآن - كما سبقت الإشارة - فقد صاحب ذلك تغير فى وظائف البرقع الحديث مما يدفعنا لمحاولة رصد أهم هذه التغيرات .

أ) وظائف البرقع فى الماضى :

تتلخص وظائف البرقع فى الماضى فى بعض الوظائف النفعية والجمالية كالتالى :

---

(١) اعتنق أهل المنطقة الإسلام، ويلعبوا دوراً بارزاً فى فتوحاته التى وصلت إلى بلاد فارس، وما وراء النهر، والهند والصين . وكان لاعتناقهم الدين الإسلامى دوراً فى التمسك بتعليمه الحنيفة، وقيمه وتقاليده ومن بينها الاحتشام .

١- **الوظائف النفعية :**

- وظيفة الستر : حيث كان البرقع يغطى كل معالم الوجه باستثناء العينين وكان أحياناً يغطى الرقبة وجزءاً من الصدر .

- التدفئة فى فصل الشتاء .

٢- **الوظائف الجمالية :**

- حماية بشرة الوجه من أشعة الشمس الحارقة صيفاً، ووقايتها من السمرة .

- الاعتقاد فى أن مادة «النيل» المبطنة لقماش البرقع تساعد على تبييض البشرة، ويتضح من هاتين الوظيفتين أن بياض البشرة هو أحد القيم الجمالية .

- إخفاء حركة الفم أثناء تناول الطعام خاصة عند وجود غرباء .

- إخفاء بعض عيوب الوجه إن وجدت، وبصفة خاصة عند كبار السن كالتجاعيد، وسقوط الأسنان .

- ترى النساء - خاصة كبار السن - أن البرقع يضفى جمالاً على كل من ترتديه .

ب) وظائف البرقع الحديث :

مع انحسار مساحة البرقع الحديث، انحسرت وظائفه النفعية، والجمالية السابق الإشارة إليها . فلم يعد يستر معالم الوجه، أو بعض عيوبه حتى أن من ترتدى البرقع الحديث من النساء متوسطات السن، ورغم أنه فى تلك الحالة يكون متوسط المساحة، ويغطى الفم، فإن المرأة قد تلجأ أثناء وجود غرباء إلى وضع طرف «الشيلة» (الطرحة)

وتسمى حينئذ «غشوة» هذا، ولم تعد الحاجة ملحة لاستخدامه فى التدفئة مع هجر المهن التقليدية كالرعى ولم تعد مساحته تسمح له بالتدفئة، كما أن مادة «النيل» المبطنة للبرقع أصبحت مصدراً لإزعاج من ترتديه، ولم تعد تؤدى وظيفة جمالية، خاصة مع انتشار أدوات التجميل الحديثة .

ولا يعنى فقدان البرقع لوظائفه التى كان يؤديها فى الماضى أنه لم يحافظ على بعضها أو لم يستحدث وظائف أخرى جديدة . فما زال البرقع «الوسط» يؤدى نسبياً وظيفته الجمالية باعتباره شكلاً جمالياً إلى جانب إخفاء عيوب الوجه مع تقدم السن كظهور بعض التجاعيد أو تساقط الأسنان . كما يؤدى البرقع الصغير وظيفته الجمالية الكامنة فى شكله الجميل - من قبل أبناء الثقافة - الذى يضفى جمالاً على الوجه بشكل عام، ويبرز جمال العينين بشكل خاص . وقد عبرت بعض الإخباريات (٨، ٩) عن وظائف البرقع الجمالية بأقوالهن :

«أحلى شئ المرأة بالبرجع .. حتى لو كانت شينة (قبيحة) يخليها البرجع غاوية (جميلة)» .

«شينه (قبيحة) بلا يرجع» .

هذا، إلى جانب وظيفة البرقع الحديث فى تدعيم التميز والحفاظ على الهوية الوطنية والتراث خاصة مع كثرة تيارات الهجرات الوافدة إلى المجتمع، وهو ما يمكن أن يعد أحد وظائفه المستحدثة .

وهكذا، يكشف الواقع الميدانى عن تغير شكل، ومساحة، ووظائف البرقع فى مجتمع الدراسة، إلا أن ذلك لا يعنى إحلال الشكل الحديث محل القديم، أو إزاحة الجديد

للقديم، فمازال البرقع الكبير يعيش جنباً إلى جنب البرقع الحديث من خلال النساء كبيرات السن (أنظر الصورتين ٣، ٤) اللائى يحرصت على ارتدائه، ويرفضن فى الوقت نفسه البرقع الصغير ليس فقط لأنفسهن، وإنما أيضاً للشابات، وقد ذكرت إحداهن :

«لما بشوف حرمه لابسه برجع صغير .. لو كانت بنتى بزغدها» .

ومن هنا، يمكن القول أن كبيرات السن يفضلن ارتداء البراقع التى اعتدنها فى شبابهن، فتطلب كل منهن إعداد الشكل المناسب لها من أحد صانعى البراقع، وبالتالى تختلف مساحات البراقع وأشكالها بينهن وفقاً لأعمارهن، ولانتماءاتهن القبلية أحياناً . فما زال البرقع يؤدى لدى بعضهن نفس وظائفه التقليدية مما يعكس أن استمراريته وبقاءه يعد مرهوناً ببقاء من ترتديه . هذا بينما اتجهت النساء متوسطات السن – من ٣٥ – ٤٥ سنة – إلى تفضيل البرقع «الوسط» وهو نفس البرقع الحديث مع إطالة جسمه إلى حوالى ٤سم تقريباً. فى الوقت الذى اتجهت فيه الشابات حديثات الزواج إلى ارتداء البرقع الحديث الصغير (أنظر الصورة والشكل رقم ٢) رغم انحسار الحرص على ارتداءه إلا فى بعض المناسبات – أنظر الجزء الخاص بمناسبات ارتداء البرقع .. والجدير بالذكر فى هذا المجال أن بعض الشابات اللائى رفضن ارتداء البرقع بعد زواجهن قد فضلن ارتدائه بعد نحو عشر سنوات من الزواج . كما أكدت بعض الزوجات الشابات أنهن سوف يرتدينه فى المستقبل . وقد أجمعت آراء هذه الفئة على ارتداء البرقع «الوسط»، كما أجمعن على أن سبب عودتهن للبرقع ترجع إلى تغير معالم الوجه بعد إنجابهن لعدة مرات، والرغبة فى إخفاء بعض عيوب الوجه التى تبدأ فى الظهور، كما أجمعن أن البرقع فى نفس الوقت يكسبهن وقاراً واحتراماً أمام

الأبناء بوجه خاص، وأمام الجميع بوجه عام مما يشير إلى استمرارية بقاء البرقع الوسط جنباً إلى جنب البرقع الصغير .

وختاماً للنقاش حول تغير وظائف البرقع تبعاً لتغير أشكاله عبر الزمان، فإننا لا نغفل إمكانية اختلاف البراقع عبر المناطق الثقافية والبدوية والحضرية وبين بعض القبائل على مستوى المجتمع ككل . فقد أظهرت الدراسة الاستطلاعية إلى جانب بعض الشواهر الميدانية أن البرقع ما زال فى بعض المناطق البدوية أكبر مساحة، والجبهة أكثر طولاً، وفتحات العينين أكثر ضيقاً .. كما تبين أن بعض القبائل قد تتخذ شكلاً أو لوناً للبرقع ينتشر بين نسائها (١) . وهى موضوعات تحتاج إلى مزيد من الدراسة المقارنة نأمل أن تتحقق فى المستقبل القريب، فقد كان تركيز الدراسة التى بين أيدينا على دراسة الظاهرة فى مدينة العين بوجه عام وفى واحد من أحيائها بوجه خاص حيث تأكدت الفروق فى شكل البرقع عبر الزمن، وتبعاً للسن، تفضل كل سيدة فروق ترجع إلى شكل الوجه - عريض، طويل، صغير - وإلى الذوق العام حيث تفضل كل سيدة قصة «قرضة» تتلاءم مع ذوقها الخاص، ومع ملامح وجهها . بينما لم تتضح فى نطاق مجتمع الدراسة الفروق القبلية إلا نادراً عند بعض كبار السن . وربما يعكس ما سبق أن حياة أسر من قبائل مختلفة فى مجتمع محلى واحد إلى جانب زيادة الاتصال، وتأثي الإعلام على مستوى الحى والمجتمع ككل قد يكون له تأثيره فى ذوبان

(١) تعرض مجتمع الإمارات للسيطرة البرتغالية أكثر سنوات القرن السادس عشر الميلادى، وللسيطرة البريطانية على مدى قرن ونصف انتهت قبيل قيام الاتحاد، حيث اتجهت السيطرة الاستعمارية إلى عزل الإمارات عن بقية أجزاء العالم العربى، وإشاعة الفرقة والتجزئة الداخلية بين إماراتها، وتحطيم التحالفات والتنظيمات القبلية (قدرى قلعجى، ١٩٦٥ : ٣٦٧)، محمود على الداود، ١٩٧٩ : ٤٤) وقد يكون لهذا تأثيره فى تدعيم وتكريس الاختلافات أو الرموز القبلية فى مجتمع ما قبل النفط والاتحاد .

الفروق القبلية، وخلق المزيد من التجانس، والتقارب بين الأفراد حيث يصبح المجتمع المحلى كالبوتقة التى تصهر ما بداخلها لتحوله إلى شئ متجانس . ومن هنا يتجسد مفهوم «المعية» والانتماء للمجتمع والدولة كبدائل للانتماءات القبلية . كما يعكس ما سبق دينامية الثقافة، وأن تغيرها قد يكون نابعاً من عوامل داخلية كتقبل التجديد من قبل الشابات، وأخرى خارجية كالتكيف الثقافى والذى ينتج عن تفاعل الثقافات الفرعية من جانب وتفاعلها مع ثقافات الدول المجاورة من جانب آخر .

٣- مناسبات ارتداء البرقع :

نظراً لعدم تغطية الدراسات السابقة لمناسبات ارتداء البرقع فسوف تتناول الفقرات التالية هذه المناسبات من واقع الدراسة الميدانية، حيث اختلفت كثافة ارتداء البرقع ومناسبات ارتدائه فيما بين مرحلتى ما قبل، وما بعد ظهور النفط وقيام الاتحاد . ففى المرحلة الأولى ارتدت المرأة البرقع طوال ساعات اليوم، وفى كافة أنشطة الحياة اليومية، سواء كانت خارج بيتها، أو فى عملها، وفى داخل بيتها، وعند استقبال الضيوف، حتى عند تناول الطعام والراحة . وقد يرجع ذلك إلى مشاركة المرأة فى الماضى فى العديد من الأنشطة الاقتصادية التقليدية داخل بيتها أو خارجه، وتعرضها بالتالى للتعامل مع الرجال فكانت ترى فيه ستراً لمعالم وجهها، إلى جانب وظائفه الأخرى. ومنا هنا، كانت المرأة لا تخلع برقعها إلا عند الوضوء والصلاة، والنوم :

«ما نطرح (نخلع) البرقع إلا عند الصلاة والنوم» .

وقد كان لبس البرقع إجبارياً بعد الزواج مباشرة تعبيراً عن تغير المكانة والوقار فى غالبية المجتمعات الحضرية والبدوية، بينما كان إجبارياً عند البلوغ فى بعض القبائل

البدوية، حيث تبدأ العروس فى التعود على ارتدائه قبل زفافها بأسبوع : «لازم العروس تتعود على البرجع، والشيله قبل زفافها بأسبوع، ما تصير (تذهب إلى) بيت رايلها (رجلها) إلا بالبرجع» .

فتقوم الإناث فى الأسرة بإلباس العروس برقعاً مستعملاً من النوع الكبير يشترط فى صاحبته حسن الخلق والسيرة، والستر، وأن تكون ولوداً، ولا يقل عدد أبنائها عن ٦-٧ أبناء . والجدير بالذكر أن اختيار برقع مستعمل كان يؤدى عدة وظائف أهمها :

١- التفاؤل بانتقال خصائص صاحبة البرقع للعروس .

٢- تعمل مادة «النيل» المبطنة للبرقع على تبييض بشرة وجه العروس التى يدهن جسمها كله بنفس المادة لثلاثة أيام أو أسبوع، ثم يدعك بحجر خاص لإزالة اللون الأزرق وتبييض البشرة .

٣- أن البرقع المستعمل يفتقر إلى الجمال، وعند خلعه وارتداء برقع جديد يبدو جمال البرقع والعروس معاً .

وإذا انتقلنا إلى المجتمع المعاصر فقد تأثرت كثافة ارتداء البرقع ومناسبات ارتدائه ببعض المتغيرات فى مقدمتها السن، والتعليم، وعمل المرأة، والمكانة الاجتماعية . فما زالت النساء من كبار السن حريصات على ارتداء البرقع كما كان فى الماضى فى جميع أنشطة الحياة اليومية، حتى عند تناول الطعام أو الشراب حيث تقوم المرأة بثنى أحد أطراف البرقع، أو رفعه بيدها اليسرى، وتناول الطعام أو الشراب بيدها اليمنى. وقد ذكرت إحداهن فى ذلك : «تستحى .. ما تاكل والبرجع ما علينا» .

بينما انحسرت نسبياً فترات ارتدائه عند متوسطات السن اللائى مازلن يرتدينه خارج بيوتهن، فى جلسات العصرية أمام البيوت - فى المرخانية ٥- أو عند زيارة

الأقارب والجيران : «ماييوا (يأتوا) عنا (عندنا)، ولا تصير عندن إلا لابسين برجع» .

كما قد يستعيضون عنه فى الحالات المفاجئة والسريعة بوضع «الشيلة» على الفم والأنف : «لو ما على برجع أتلتم» . كما أنهن قد لا يكتفين بالبرقع «الوسط» إذا خرجن إلى الطريق العام أو السوق أو غيره من الأماكن العامة بل يضعون فوقه «الغشوة» أحياناً : «جدام» «أمام» الريال (الرجال)، والسوج (السوق)، والمستشفى لازم نتغشى فوج (فوق) البرجع» .

وتحرص متوسطات السن أيضاً على ارتداء البراقع داخل مساكنهن عند وجود غرباء، بينما يخلعنه فى وجود الأسرة والأهل والجيران : «مع أهلى وبرانى (جيرانى) ما استحى .. أخلعه، لكن عند بيوتن (منازلهن) ما ندخل إلا ببرجع» .

وقد كانت هذه الفئة ترتدى البرقع غالباً أثناء المقابلات مع الباحثة : «نستحى نطوح (نخلع) البرجع جدامك (أمامك)» .

هذا، بينما زاد انحسار ارتداء البرقع عند الشابات المتزوجات حديثاً، إذ لعب انتشار التعليم وخروج المرأة للعمل دوراً فى كثافة الارتداء . وقد ذكرت الإخبارية رقم (٣) فى ذلك : «مش مشكل (ليس من الضرورى) لبس البرجع بعد دخول البنات المدارس والجامعة . هى يابوى بنت مدارس، ماتلبس البرجع .. فى المدارس والجامعة والشغل ما بتلبسوا البرجع» .

والجدير بالذكر فى هذا المجال أن الإخباريات الجامعيات قد أكدن أنه منذ نحو سبع سنوات كانت الطالبات المتزوجات ترتدين البراقع داخل الجامعة . وكن يخلعنه أثناء المحاضرات إذا كان عضو التدريس إمرأة، حيث تضعه الطالبة داخل الكتاب،

لتعود لارتدائه عقب انتهاء المحاضرة . بينما تدل الشواهد الميدانية حالياً على ندرة ذلك داخل الجامعة . حيث ترى الشابات المتعلمات، والموظفات غالباً أن البرقع يعد معوقاً للدراسة والعمل، بل وللمشاركة فى الحياة العامة والمناسبات . وقد عبرت الإخبارية رقم (١) عن ذلك بتساؤلها عن كيفية استطاعتها تناول الطعام مثلاً فى تلك المناسبات وهى ترتدى البرقع؟ فهو يسبب لها ارتباكاً ولا تدرى أترفع البرقع إلى أعلى؟ أم ترفع الشيلة؟ أم تتناول الطعام؟ وبالتالى لم تجد هذه الفئة صعوبة فى الإقلاع عن ارتدائه، أو إقناع الأسرة بذلك نظراً لإنخفاض إلزامية ارتدائه حالياً .

وهكذا، يمكن القول أن مناسبات ارتداء الشابات المتزوجات للبرقع حالياً تكاد أن تنحصر فى المناسبات التقليدية غالباً كالمشاركة فى بعض مناسبات دورة الحياة كالأفراح، والمآتم . فالبرقع عنصر من مركب ثقافى - الزى ككل - يرتبط بمناسبة أو بمركب ثقافى أكثر عمومية - حفل الزفاف مثلاً - وبالتالى يستمر ارتداؤه إذا احتفظت المناسبة بتفاصيلها التقليدية - أو بمعظمها - بينما يتم التخلى عنه إذا طرأ تغير شامل - أو شبه شامل - على السياق الثقافى العام . وعلى سبيل المثال فالعروس التى ترتدى «الكندورة» (الثوب التقليدى) الملونة ليلة الزفاف، فإنها ترتدى معه «الشيله» والبرقع - وهو ما يندر حدوثه حالياً - أما من ترتدى الثوب الأبيض الحديث فإنها قد ترتدى البرقع فى اليوم التالى للحفل، أو قد لا ترتديه مطلقاً . ويتوقف ذلك على مكان الاحتفال، فإذا كان فى مسكن أهل العروس أو فى خيمة تنصب بالقرب منه خصيصاً لهذه المناسبة (١)، فإن العروس تبيت كالعادة تلك الليلة بمفردها - بدون العريس - فى

(١) هناك تطور واضح فى شكل ومساحة اليام، وفى خاماتها .. إلخ، وهى قد تتسع لمئات الأفراد، ويوصل بها أجهزة تكييف وإضاءة، وقد يكون بها نوافذ وديكورات يتبع فى تصميمها أحدث خطوط الديكور .

بيت أهلها . ويأتى العريس فى صباح اليوم التالى لاصطحابها حيث تقوم إحدى الجارات أو القريبات بإلباسها الزى التقليدى، وتزيينها، وتبخيرها، وهى استعدادات لا يفضل اشتراك الأم فيها . فاشتراكها مدعاة للتشاؤم . «وكأنه فكاك من إبنتها أو وداعاً لها» . أما إذا أقيم حفل الزفاف فى أحد الفنادق، فإنه يتم حجز غرفة لمبيت العروسين وعندها تتخلى العروس عن لبس البرقع .

ومع انحسار ارتداء الشابات المتزوجات للبرقع الناتج عن تغير السياق الثقافى العام يمكن إيجاز أهم مناسبات ارتدائه حالياً فيما يلى :

أ) ليلة الزفاف : يتم ارتداء البرقع الحديث فى الحالات القليلة التى ترتدى فيها العروس الزى التقليدى ليلة الزفاف . كما يتم ارتداؤه بنسبة أكبر فى صباح اليوم التالى عند اصطحاب العريس لعروسه من بيت أهلها، كما قد ترتديه العروس عند استقبالها لمهنئيها .

ب) الأفراح والأعياد : ما زالت بعض الشابات المتزوجات - خاصة فى المستويات الاجتماعية الأعلى - حريصات على ارتداء البرقع كرمز للزواج وللتراث خاصة فى مناسبات الأفراح والأعياد وغيرها من المناسبات العامة (١) . حيث يرتدى البرقع الصغير الجديد اللامع .

ج) مناسبات العزاء : ما زالت المرأة فى مجتمع البحث حريصة على ارتداء البرقع فى مناسبة العزاء . ويفضل فى هذه الحالة ارتداء برقع قديم فقد لمعته الذهبية .

---

(١) تحرص النساء من كبار السن، ومتوسطات السن على حضور تلك المناسبات بالبرقع .

كما أنه فى حالة وفاة الزواج فإن الأرملة ترتدى برقعاً قديماً من النوع الكبير تعبيراً عن الحزن والأسى لفقدان الزوج .

د) مناسبة الحج : ترتدى المرأة من كافة الأعمار البرقع أثناء أداء فريضة الحج، وعقب فك الإحرام . فإذا نست المرأة وارتدت البرقع أثناء مناسك الحج وجب عليها فدية . ويفضل فى هذه المناسبة ارتداء البرقع الكبير - أو الوسط للشابات - لأنه يوحى بالوقار والحشمة، كما أنه يقى الوجه تأثير أشعة الشمس . وكثيراً ما تحتفظ «الحاجة» ببرقعها الذى استخدمته فى هذه المناسبة لما يحمله من بركة وذكرى .

هـ) الخروج إلى السوق : رغم انحسار ارتداء الشابات للبرقع إلا فى المناسبات السابقة، فإن بعضهن مازلن حريصات على ارتدائه عند خروجهن من مساكنهن إلى الطريق والسوق، أو عند استقبالهن للضيوف .

هكذا، مازال البرقع يمثل لدى بعض الشابات أحد مستلزمات الزى التقليدى عن الزواج . فتحرص العروس على اقتنائه كأحد مكملات زيها ، كما تحرص على ارتدائه فى بعض المناسبات ويزداد هذا الحرص فى المستويات الاجتماعية الأعلى حيث التمسك بكافة سمات التقليدية كالزواج القرابى، والإقامة بالقرب من الأهل، وتدعيم العلاقات معهم، وهو ما أسفرت عنه دراسة الحالات فى المرخانية الجديدة . فالبرقع لدى هؤلاء جزء من الزى التقليدى ومن الهوية الوطنية يتمسكون به فى مواجهة الثقافات الوافدة والتغير .

٤- رمزيـــة البرقـــع :

بتتبع ما جاءت به الدراسات السابقة حول رمزية البرقع، يمكننا أن نستخلص أنه

يعبر عن بعض الأبعاد الاجتماعية، فقد يكون مقصوراً على الحرائر، أو المتزوجات، أو أنه يعكس المكانة الاجتماعية، فقد لفتت بعض الدراسات الانتباه إلى أن البرقع كان فى الماضى مقصوراً على الحرائر ثم أخذت الإماء يلبسنه، حتى جاء عمر بن عبد العزيز فحرمه على الإماء حين قال : «لا تلبس أمة خماراً، ولا يتشبهن بالحرائر» . (صبيحة رشدى، ١٩٨٠ : ٤٣) وأضافت دراسة أخرى كونه رمزاً للزواج فهو غطاء للوجه لفتحتين للعينين ترتديه المرأة بعد الزواج (Kalthem, 1993 : 10) بينما أكدت دراسات أخرى على أن كم وكيف زينة البرقع يعكسان المكانة الاجتماعية لمن ترتديه، ولأسرتها حيث تختلف مادة صنع الزينة بين الذهب والفضة، والنحاس والقشرة، كما يختلف مقدارها أو وزنها . (أحمد أمين، ١٩٥٣ : ٨٥) (نهلة إمام، ١٩٩٤ : ١١٥-١١٩).

وقد اختلفت رمزية البرقع فى مجتمع الإمارات بين مرحلتى ما قبل وما بعد ظهور النفط وقيام الإتحاد . فكان رمزاً للقبيلة، ولبعض الثقافات الفرعية - بدو، وحضرر - حيث تتخذ المرأة فى كل قبيلة أو ثقافة فرعية لوناً مفضلاً للبرقع، أو شكلاً أو مساحة محددة . كما كان فى كل الأحوال رمزاً للأنوثة، وللمرأة لا يصح أن يراه أو يطلع عليه الرجال وقد حكت الإخبارية رقم (٥) أنه حكى أن إحدى النساء نست برقعها فى المسجد . وعند صلاة الجمهة وجده بعض الرجال، ولما شاع الخبر اضطربت النساء، وشعرن بانتهاك حرماتهن . كما كان البرقع أحياناً رمزاً لبلوغ الفتاة، ولأهليتها للزواج فى بعض القبائل البدوية - منها على سبيل المثال قبيلة الحبيبى العمانية الأصل - بينما كان رمزاً للزواج عند غالبية القبائل وفى مختلف الثقافات الفرعية .

وحالياً، وفى نطاق مجتمع البحث لم يعد البرقع رمزاً للقبيلة كما كان فى الماضى إلا عند بعض كبار السن . كما أنه على خلاف ما جاءت به الدراسات السابقة ليس رمزاً للمكانة الإجتماعية نظراً لخلوه من الزينة والحلى الذهبية أو الفضية ... إلخ . فقد كان لبساطة زينته دوراً فى جعله متاحاً للجميع خاصة مع ارتفاع مستويات المعيشة ومتوسط دخل الفرد، وبالتالى لا يعكس البرقع فى شكله فروقاً فى المكانة .

وفى مقابل ما سبق احتفظ البرقع فى المجتمع الحديث بكونه رمزاً للزواج، وللمرأة والجمال، وللاحترام والوقار، وللماضى والتراث . فهو رمز للزواج حتى أنه يمكن القول بأنه بديل لخاتم الزواج الذى لا تحرص الكثيرات على ارتدائه فى مجتمع البحث ولكنهن يرتدين البرقع خاصة فى المناسبات العامة للتمييز بين المتزوجة وغير المتزوجة . ويؤكد ذلك ما روته الإخبارية رقم (٤) وهى فتاة غير متزوجة حين ذكرت أن والدها قد صفعها على وجهها بشدة ذات يوم عندما رآها ترتدى البرقع أمام المرآة . كما أن البرقع مازال رمزاً للمرأة بوجه عام فهو جزء من زيها التقليدى، وهو فى نفس الوقت رمز للجمال حيث أكد الكثيرون أن شكل البرقع جميل، وأنه يزيد المرأة جمالاً إذ يظهر جمال العينين وبعض أجزاء الوجه، كما يدارى بعض عيوبه . وهو أيضاً رمز للاحترام والوقار ، مما دفع بعض الشابات إلى ارتدائه بعد سنوات من زواجهن، أو اتجاه البعض إلى تفضيل ارتدائه فى المستقبل حيث يكسبهن حشمة ووقاراً واحتراماً أمام أبنائهن والآخرين . وأخيراً، فإن البرقع هو رمز للماضى والتراث التقليدى (أنظر Su-zanne Brenner, 1996, 690) مما دفع الكثيرات إلى الحرص على ارتدائه خاصة فى المناسبات العامة التى كثيراً ما تكون محاطة بسمات التقليدية، كما أن هذه الرمزية هى التى دفعت ذوى المكانة فى المجتمع إلى التمسك بارتدائه .

٥- أغطية أخرى لوجه المرأة :

قابل انحسار ارتداء البرقع عند السيدات زيادة ملحوظة فى ارتداء النقاب بدأت منذ نحو ٥ إلى ٦ سنوات، وزادت فى الأعوام الأخيرة حتى أنه قد يبدو بديلاً للبرقع، رغم كونه مستعار من بعض الثقافات المجاوره ويمكن إرجاع تفضيله وإنتشاره إلى :

أ) تأثير التيار الدينى، والاهتمام بحجب الوجه باستثناء العينين، وهو اتجاه تقبل عليه الشابات اللائى يرون فى البرقع أنه عادة، بل هو بدعة لم يأمر بها الإسلام، وأنه ملفت للنظر ويظهر محاسن المرأة أكثر من كونه ستراً لوجهها . هذا فى الوقت الذى تعزف فيه كبيرات السن عن ارتداء النقاب فهن الأكثر تمسكاً بالبرقع سواء من خلال رفض خلعه أو رفض بدائله ممثلة فى النقاب . وقد ذكرت إحداهن مشيرة إلى البرقع : «اللى متعوده ألبس هادا (هذا) .. ما ألبس نجاب».

ب) الاتصال الثقافى بالحضارات المجاورة - أنظر الإطار الإيكولوچى لمجتمع الدراسة .

ج) إن التغير سمة من سمات كافة أوجه الحياة البشرية، ومن بينها الثقافة المادية . فظهور أداة جديدة تتصف بالكفاءة وتكون فى متناول مستخدميها يعنى اتجاه الإنسان إلى هذه الأداة الجديدة التى سرعان ما تفرض نفسها، وقد تزيح الأداة القديمة من مكانها . وهكذا تختفى من على مسرح الحياة الشعبية أدوات وأشياء مادية، وتحل محلها أجيال جديدة بديلة، مما يدعونا إلى توجيه الاهتمام العلمى لرصد هذه التحولات ومتابعتها . (محمد الجوهرى، ١٩٩٣ : ١٦) .

د) أن النقاب أوفر وأكثر عملية حيث يمكن غسله وكيه وارتدائه مرات ومرات، بينما قد تستهلك المرأة براقع قيمتها مائة درهم أو أكثر فى الشهر الواحد . وقد عبرت الإخبارية رقم (٣) عن ذلك مشيرة إلى البرقع : «هادا (هذا وأيد (كثير) فيه خسارة» .

هـ) خلو النقاب من مادة «النيل» التى تنزعج منها بعض النساء لصبغها بشرة الوجه باللون الأزرق فى كل مرة يتم فيها ارتداء البرقع .

٦- **البرقع : طرق انتاجه، وصيانته، وأسعاره :**

تقدم الفقرات التالية محاولة للتعرف على طرق انتاج البرقع، ومنتجيه، وكيفية صيانته، وأسعاره بين الماضى والحاضر . وهى موضوعات لم تتناولها الدراسات السابقة، ويتم الاعتماد فيها على الدراسة الميدانية .

أ) **تفصيل وحياكة البرقع** : كانت حياكة البرقع فى مجتمع ما قبل ظهور النفط وقيام الاتحاد تتم يدوياً وبخيوط مصنوعة من الجلد، وكانت الجبهة تحاك بخيط واحد طويل، وباستخدام إبرة رفيعة وقصيرة، فتؤخذ غرز ضيقة تعطى للجبهة فى النهاية كسرات رفيعة . وكان جانبا البرقع يحاكان بغرزة كبيرة تسمى «عودة» . أما حالياً فإن تفصيل وحياكة البرقع يسبقها اختيار المرأة لشكل البرقع وفقاً لعمرها وذوقها وملامح وجهها . كما تختار المرأة نوع الخيط - هدب أسود، أو خوص لامع - لتبدأ صانعة - أو صانع - البراقع فى طى القماش، وقصة «قرضة» وفقاً للعدد المطلوب من البراقع، والمساحة المطلوبة ثم تقص فتحات العينين، ثم تمر بصابونة على أطراف البرقع من الخلف لتيسير حياكتها وتثنى «تكسف» الطرف العلوى للبرقع (الجبهة) ليُحاك بالماكينة مرة، ثم يحاك السيف وفتحتى العينين، ويُثنى الخدين، وتزين الجبهة بالكسرات الرفيعة

المضغوطة . ويُثبت الشبق فى أطراف البرقع، ويقوى «سيف» البرقع من الداخل بعصا رفيعة تستل من عصا (الأيس كريم) وذلك فى حالة إعداده منزلياً، بينما يقوم منتجوه من الهنود - فى المحلات الخاصة بالبراقع - باستخدام العصا التى يستخدمها أطباء الأنف والأذن والحنجرة أثناء الكشف على مرضاهم والمعروفة باسم ضاغط اللسان Togue depressor والتى يشترونها من الصيدليات، وهى فى الحالتين بدائل لجريد النخيل الذى كان يستخدم فى الماضى . ويلصق البرقع من الخلف ببطانة بيضاء بلاستيكية لاصقة لعدة طبقات قد تصل إلى خمس طبقات وذلك للتجنب النسبى لمادة «النيل» المبطنة لقماش البرقع والتى ينزعج البعض من انتقالها إلى بشرة الوجه فى كل مرة يُرتدى فيها وكما تعطى تلك البطانة شكلاً مفروداً ومحبباً للبرقع تفضله بعض النساء . ثم يقص أسفل البرقع بالشكل والمساحة المطلوبة . والجدير بالذكر أنه بعد قيام الاتحاد بسنوات قليلة بدأ استخدام التكنولوچيا فى إعداد البراقع فاستخدمت ماكنة الحياكة، واستحدثت ماكينة أخرى لعمل الكسرات المضغوطة لتزيين جبهة البرقع - يتم استيرادها من الخارج - مما يعكس تحول إنتاج البراقع من الأسلوب التقليدى اليدوى إلى آخر حيث يعتمد على التكنولوچيا المنزلية .

ب) **منتجو البراقع** : كان البرقع فى الماضى يتم انتاجه بأسلوب تقليدى يعتمد على المواطنات اللائى تقمن بتفصيله وحياكته سوياً كما سبقت الإشارة . وكانت المرأة تعد البرقع لنفسها أحياناً كما تلجأ إلى إحدى القريبات أو الجارات ممن تتقن إعداده أو قد تحرص الأخيرة على إهدائه للجارات أو القريبات أحياناً أخرى ولم يمنع ذلك وجود المتخصصات فى تفصيله وحياكته واللائى يتقاضين أجراً على ذلك (انظر فقرة أسعار البرقع) وقد تعلمن طريقة إعداده من أمهاتهن أو من إحدى الجارات أو القريبات وهذه

هى الطريقة التى تنتقل بها الحرفة . فهى ليست متوارثة بالضرورة . وتبين من خلال المقابلات التى تمت مع صانعات البراقع أنهن قد تعلمن الطريقة من إحدى القريبات والصديقات من «ربيعتى» (صديقتى)، ولم تكن أمهاتهن تجدن إعداده . حيث تنتهز النساء فرصة جلوسهن معاً فى الضحى أو بعد العصر، فتقوم من تتقن اعداد البراقع بتعليم من لديها الرغبة فى ذلك، وتقوم الأخيرة بعدة محاولات متتالية حتى يتم اتقان الحياكه فتبدأ التسويق لانتاجها من خلال الجارات فتُعلم كل منهن الأخرى بأن «فلانة» تعد البراقع، وعلى من ترغب شراء برقع أن تجرب لتختار فى النهاية أكثر المنتجات ملاءمة لها سواء من حيث درجة الاتقان أو جودة الخامة أو السعر . وقد زاحم حالياً صانعات البراقع - المواطنات - محترفون من الهنود - رجال غالباً ونساء أحياناً (١) - يقومون بمهمة الانتاج، والبيع حالياً فى الأماكن العامة - كالمستشفيات، وبعض الأسواق - أو يتجولون بين المساكن فى بعض الأحياء، وبحوزتهم نماذج من البراقع يعرضونها على النساء لاختيار ما يناسبهن، أو قد تعرض الزبونة الشكل والمساحة وتطلب منها العدد الذى ترغبه فيتم إحضاره إلى البيت خلال أسبوع .

وقد تخصصت بعض المحلات فى تفصيل وإعداد البراقع - أو بيعها جاهزة وبمقاسات مختلفة . وبالتالى تحول تسويق البراقع إلى تجارة على مستوى أوسع نطاقاً. والجدير بالذكر فى هذا المجال أن صانعات البراقع (المواطنات)، اللاتى هجرن صناعته حالياً، يرون أن هذا الهجر يعد تطوراً (إلى الأفضل) فقد ذكرت إحداهن :

---

(١) فى مقابلة مع أحد صانعى البراقع الهنود، ذكر أنه كان يعمل فى أحد الأنشطة الخدمية لدى أسرة إماراتية، وأنه أثناء وقت فراغه استطاع أن يكتسب الحرفة من إحدى النساء كبيرات السن بالأسرة وظل عاماً كاملاً فى محاولات اتقان حرفته . وبعدها افتتح محلاً صغيراً لإعداد البراقع أو بيعها جاهزة بمقاسات مختلفة .

«الحين ما نصنع البراجع .. الناس اتطورت .. نشتريها من الهنود» .

وهن يبررن هجرهن لإعدادها بما كان يسببه لهن من مشكلات تتلخص فى تلويث «النيل» لملابسهن أو أجسامهن، وبيوتهن . «لما كنت أصنعه كان النيل يدخل حتى فى أسناننا، وشعرنا والكندورة (التوب)، وخشمى (فمى)، وعيونى .. كله يخيس (يتسخ) من البراجع» . «زوجى جام (قام) ينازعنى، خيستى البيت، والتليفون وكل شئ» .

هذا، كما تزداد مشكلات إعداده مع وجود أطفال فى الأسرة : «لو الياهل (الطفل) مسك البرجع - أثناء إعداده - خلاص نعجه (نرميه) فى الزبالة، ما منه فايده، شو استفدت؟ نرد (نعود) نساوى (نعد) تانى مرة» .

والجدير بالذكر فى هذا المجال أن التغيرات الاقتصادية على مستوى المجتمع ككل، وما صاحبها ما ارتفاع لمستويات المعيشة يعد من أهم العوامل وراء ترك المواطنات إعداد البراقع، والتى كانت تمثل لدى بعضهن مصدراً للرزق .

جـ) صيانة البراقع : يعد لمعان البرقع، ورونقه، وخلوه من البقع من معايير جماله ويتطلب المحافظة على تلك الخصائص حرصاً شديداً عند استخدام البرقع، ومراعاة عدم رش العطور عليه من الخارج، وحفظه بعد خلعه بوضعه على منديل ورقى، أو ورقة جريدة مرشوشة بالعطر بحيث تكون بطانته الداخلية هى الملاصقة للورقة، ثم يطوى ويحفظ بهذا الشكل لحين ارتدائه مرة أخرى . كما استخدمت النساء فى الماضى «الملمعة» وهى قطعة من الكريستال المصقول على شكل البيضة للحفاظ على رونق البرقع وذلك بوضعه على قطعة من الخشب، والمرور «بالملمعة» فوقه عدة مرات مع الضغط فى كل مرة فيستعيد البرقع بريقه ورونقه مما يكفل استخدامه لفترة أطول .

وهى ممارسة قل وجودها حالياً فقد أصبحت الإمكانيات المادية تسمح بشراء أعداداً كبيرة من البراقع، حيث يتم التخلص منه بعد استخدامه لمرة واحدة أو مرتين أحياناً، وبالتالى تخلت المرأة عن حرصها على عيانته لفترة طويلة، فشراء الجديد أيسر من تلميع القديم . وقد ذكرت الإخبارية رقم (٢) فى ذلك : «عندنا خمسة أو ستة براجع .. والله نشوف كأن ما عندنا» .

د) أسعار البراقع : اختلفت أسعار البرقع فى مرحلتى ما قبل وما بعد ظهور النفط وقيام الاتحاد حتى أن المتتبع لأسعاره يجد أنها تعكس الواقع الاقتصادى للمجتمع بوجه عام . فقد كانت النساء تصنعه لأنفسهن فى الماضى أو تلجأ لإحدى المتخصصات فى صناعته مقابل الهدايا العينية المتاحة فى البيئة، وفى مقابل التمر، والقهوة، والحبوب كالقمح أو الأرز، أو قد يكون المقابل أى شئ تتقن الزبونه صناعته أو إعداده، أو يكون «صيد» كأرنب أو جزء من غزال . ونادراً ما كانت تستخدم العملات النقدية كمقابل وهى حوالى نصف روبية (نصف الدرهم) للبرقع الواحد مما يعكس صعوبة الحياة فى ذلك الوقت، وشح البيئة .

ومع بداية الثمانينات ارتفع سعر البرقع ووصل إلى ما بين خمسة وعشرين إلى خمسين درهماً للبرقع الواحد، بالإضافة إلى تقديم هدايا لمعديها تتفق والذوق العام والثقافة، فى مقدمتها الثياب والعطور والبخور والهيدو غطاء الرأس للمرأة) والذهب أحياناً . وقد كانت صانعات البرقع فى تلك الفترة مواطنات تحقق مكاسب واضحة من إعداده مما شجع العمالة الوافدة - من الهنود - على تعلم طرق اعداده وإتقانها، وتيسير تسويقه من خلال التجول على المنازل مما أدى إلى انخفاض أسعاره إلى ما بين عشرة إلى اثنتى عشرة درهم للبرقع . وهكذا هجرت المواطنات إعداد البراقع تأثراً

بارتفاع مستويات المعيشة والرفاهية والعزوف عن العمل اليدوى من جانب ومزاحمة العمالة الوافده لسوق العمل من جانب آخر مما أسفر عن زيادة عرضه فى الأسواق التى أدت إلى انخفاض أسعاره .

والجدير بالذكر أنه أثناء كتابة البحث، صدرت قوانين بشأن تنظيم العمالة الوافده كان من نتائجها ترحيل أعداد كبيرة من العمالة الآسيوية - غير المرخص لهم بالعمل - إلى موطنها الأصلى . وبالتالى توقعت بعض النساء ارتفاع أسعار البراقع مع نقص الأيدى العاملة مما اضطر إحدى الإخباريات إلى شراء براقع بمبلغ ٦٠٠ درهماً لتخزينها للفترة القادمة فى محاولة للتغلب على غلاء أسعاره الذى لم تتضح معالمه بعد حتى كتابة البحث .

خامساً : أهم استخلاصات الدراسة عن البراقع :

١- يكشف البرقع كجزء من الثقافة المادية عن التفاعل مع الواقع الإيكولوچى بأبعاده التاريخية والجغرافية والاجتماعية والثقافية . فقد كان لموقع المجتمع، فى المنطقة المدارية فى طريق التجارة بين الشرق والغرب واتصاله بالمحيط الهندى، تأثيره على الاتصال الحضارى على مر التاريخ وحتى الآن . وفيما يلى بعض الشواهد التى تؤكد ذلك :

- أثر المناخ الصحراوى المدارى الحار لمجتمع الإمارات، خاصة فى الماضى، مع انتشار المهن التقليدية كالرعى، على ارتداء المرأة للبرقع . فقد كان يؤدى وظيفته فى حماية البشرة من حرارة الشمس، والعواصف الترابية صيفاً، ومن برودة الطقس شتاء، إلى جانب وظائفه الأخرى .

- كان لطبيعة التركيبة السكانية التى يرجع معظمها إلى أصول قبلية من شبه الجزيرة العربية دوراً واضحاً فى تميز أشكال الزى فى المنطقة بوجه عام، وزى المرأة متضمناً البرقع بوجه خاص .

- كان لاعتناق السكان الدين الإسلامى تأثيره، فى التمسك بالتقاليد والقيم الإسلامية ومنها الاحتشام والستر .

- كان للسيطرة الاستعمارية البرتغالية، والبريطانية - خاصة الأخيرة - دورها فى عزل المجتمع عن باقى المجتمعات العربية والدولية من جانب، وإشاعة الفرقة الداخلية من جانب آخر، مما كان له دوره فى تكريس لفروق القبلية والثقافية فى الماضى، ومن بينها تفاصيل الزى عامة والبرقع خاصة .

- كان لنشأة مدينة العين، ووعورة الطرق بين قراها فى مجتمع ما قبل ظهور النفط وقيام الاتحاد دوراً واضحاً فى فرض العزلة على سكانها، وتكريس تميزاتهم ورموزهم . وهى سمات خفت حدتها فى المجتمع الحديث نتيجة الاتصال المكانى من خلال الطرق والامتداد العمرانى، والثقافى، والاعلامى .

- لعب الواقع الإيكولوچى للمجتمع المحلى من حيث تقارب المساكن، والاتصال بالمجتمع الأكبر، والانفتاح على المجتمعات الأخرى من خلال مختلف وسائل الاتصال الجماهيرى دوره فى التخفيف من حدة التمايز والتباين الثقافى بوجه عام، وعلى تشابه شكل البرقع بوجه خاص، على الرغم من انتماء سكان الحى إلى قبائل ومستويات اجتماعية مختلفة مما يجسد معنى المعية أو العيشه معاً أو تأثير ذلك فى إذابة الفروق القبلية وتحول الانتماءات إلى المجتمع والدولة ككل .

- يعكس تغير الجزء الداخلى المبطن لسيف البرقع التفاعل الإيكولوچى واستخدام عناصر من البيئة فى مرحلتى ما قبل وما بعد ظهور النفط وقيام الاتحاد .

٢- تغيرت أجزاء البرقع بين الماضى والحاضر وصاحب ذلك تغير فى وظيفة بعض أجزائه، وثبات فى وظيفة بعضها الآخر ومع تغير الأجزاء، تغير شكل البرقع الحديث ككل، كما تغيرت وظائفه الأساسية كوسيلة للستر . وفى محاولة للمحافظة على بقاء البرقع أصبح يؤدى وظيفة جمالية فى المقام الأول، إلى جانب وظيفته فى تدعيم التميز والمحافظة على الهوية الوطنية ظهرت خاصة فى مواجهة الثقافات المتغيرة والوافدة .

- تكشف التغيرات التى طرأت على البرقع، ووظائفه عن سرعة التغير الاقتصادى، والاجتماعى، والثقافى للمجتمع ككل كما يعكس تناقص مساحة البرقع وتغير وظيفته الأساسية، وانحسار ارتدائه بين الشابات أن التغير يسير نحو السفور ما لم تطرح الثقافة أو تستعر بدائل أخرى قد تغير من اتجاه التغير . وقد كان فى مقدمة عوامل التخلى عن ارتداء البرقع بين الشابات انتشار التعليم بوجه عام وتعليم الإناث بوجه خاص، وخروج المرأة للعمل وأصبح من النادر أن تشاهد طالبات الجامعة المتزوجات أو العاملات فى أى مؤسسة وهن يرتدين البرقع مما يؤكد دور التعليم وعمل المرأة كعوامل هامة للتغير . كما كان من عوامل التخلى أيضاً التمسك بتعاليم الدين الإسلامى فى المجتمع المعاصر بشكل أكثر وضوحاً مما كان سائداً

فى الماضى، ومن ثم أصبح الأفراد ذكوراً أو إناثاً - يرون أن البرقع بشكله الحديث لا يؤدى وظيفته فى ستر وجه المرأة، وأنه مجرد عادة، وبالتالى فعلى راغبات ستر وجوههن ارتداء النقاب كبديل للبرقع التقليدى بوظيفته التقليدية .

- تغيرت طريقة انتاج البراقع من الأسلوب اليدوى إلى أسلوب حديث نسبياً يعتمد على التكنولوچيا، وإن ظل إنتاجه فردياً غالباً . كما تحول تسويقه إلى تجارة على مستوى أوسع نطاقاً .

- تغيرت جوانب من رمزية البرقع بين مرحلتى ما قبل وما بعد ظهور النفط وقيام الاتحاد . فقد كان رمزاً للزواج غالباً وللبلوغ أحياناً، فأصبح رمزاً للزواج فقط . وكان رمزاً للقبيلة أو لبعض الثقافات الفرعية، فأصبح رمزاً للهوية الوطنية . هذا بينما احتفظ حالياً بكونه رمزاً للأنوثة، والمرأة والجمال، والوقار، وللتراث .

٣- يكشف البرقع عن الاتصال الثقافى مع الحضارات العربية وغير العربية المجاورة فى شبه الجزيرة العربية والرافدين، والخليج، والهند والصين، وغيرها . ومن الشواهد الميدانية التى تعكس ذلك ثبات استيراد خامة البرقع من الهند والصين وانضمام العمالة الهندية إلى مجال انتاجه . كما تعد استعارة النقاب كبديل للبرقع انعكاساً للتبادل الثقافى مع بعض الثقافات المجاورة مثل إيران أو غيرها .

٤- فى مقدمة المتغيرات التى كان لها دور فى تنوع أشكال البراقع، وألوانها، وزينتها ومساحتها فى مجتمع البحث متغيرات الزمن، والسن والذوق العام،

بينما كانت متغيرات التعليم وعمل المرأة والمكانة الاجتماعية، والمد الإسلامى فى مقدمة المتغيرات التى لها تأثيرها على كثافة ارتداء الشابات للبرقع .

٥- يخلو البرقع فى مجتمع الدراسة من الزينة الممثلة فى العملات الذهبية أو الفضية أو النحاسية .. إلخ وبالتالى لا يعكس فروقاً فى المكانة الاجتماعية، وإنما يعكس فروقاً عمرية فى المقام الأول . كذلك اختلفت مناسبات الارتداء باختلاف الجماعة العمرية، فمازالت النساء من كبار السن يرتدينه طوال اليوم، بينما تخلعه متوسطات السن داخل مساكنهن - إلا عند وجود غرباء - وأصبح ارتداؤه عند الشابات المتزوجات قاصراً فى الغالب - على المناسبات العامة كالأفراح، والأعياد، ومواسم الحج، والعزاء وعند الخروج للأسواق أحياناً حيث يزداد التمسك بارتدائه فى المستويات الاجتماعية العليا .

٦- إن بقاء البرقع بشكله التقليدى فى مجتمع الدراسة مرهون بحياة كبار السن، فهو مازال يحتفظ لديهن بشكله - نسبياً - ووظائفه فى الوقت الذى يرفضن فيه بدائله كالنقاب . بينما انتشرت البراقع متوسطة ومتغيرة المساحة تبعاً لسن من ترتديها، خاصة بين المستويات الاجتماعية العليا مما يضمن لها الاستمرار على الأقل فى المستقبل القريب .

المراجع العربية :

- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٥٣م .
- أسامة فوزى، الأزياء الشعبية فى الامارات العربية المتحدة، مجلة التراث الشعبى، بغداد ١٩٨١م .
- البدر سليمان سعدون، العلاقات الحضارية فى الوطن العربى خلال الألف الثانى قبل الميلاد، الكويت ١٩٨٣م .
- ثناء بلال، الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٨٣م .
- دورسون، نظريات الفولكلور، المعاصره، ترجمة محمد الجوهرى وحسن الشامى، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٢م .
- شاكر خصباك، دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة فى الجغرافيا الاجتماعية بغداد ١٩٧٧م .
- صبيحة رشيد رشدى، الملابس العربية وتطورها فى العهود الإسلامية، مؤسسة المعاهد الفنية، ط١، ١٩٨٠م .
- صلاح حسين العبيدى، الملابس العربية الإسلامية فى العصر العباسى الثانى من المصادر التاريخية والأثرية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م .
- عبد الله الخريجى، التغير الاجتماعى والثقافى، رامتان، جده، ط١، ١٩٨٣م .

- عصام الشيخ قاسم، دراسات الأزياء الشعبية العربية، المصادر التاريخية، مجلة المأثورات الشعبية، قطر، أبريل ١٩٩٤م .

- عمر الفاروق، الخليج العربى فى العصور الإسلامية، دبى، ١٩٨٣م .

- فاطمة الصايغ، المرأة فى الإمارات : دراسة تاريخية لواقع المرأة وتطورها فى القرن العشرين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلد ١، عدد ١، ١٩٩٥ .

- قدرى قلعجى، الخليج العربى، بيروت، ١٩٦٥م .

- مانع سعيد العتيبة، البترول واقتصاديات الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٧٧م.

- محمد الجوهرى، علم الفولكلور، دراسة فى الأنثروبولوچيا الثقافية، جـ١، ط ٣ ، دار المعارف بمصر، ١٩٧٨م .

- ، دراسات فى الأنثروبولوچيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية ط١، ١٩٩١م .

- ، دليل دراسة الثقافة المادية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م .

- ، طرق البحث الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م .

- محمد حسن غامرى، الأنثروبولوچيا الحضرية مع دراسة عن التحضر فى مدينة العين، أبو ظبى، ط١، دار المعرفة الجامعيه، ١٩٨٤م .

- محمود على الداود، العرب ومستقبل الخليج، الندوة العلمية الثالثة لمركز دراسات

الخليج العربى، جامعة البصرة، ١٩٧٩م .

- ناصر حسين العبودى، الأزياء الشعبية الرجالية فى دولة الإمارات وسلطنة عمان، مركز التراث الشعبى، الدوحة، قطر .

- نجلة العزى، أنماط من الأزياء الشعبية النسائية فى الخليج، مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية، ١٩٨٥م .

- ، الأزياء الشعبية فى قطر، أسلوب فى جمع وحفظ ودراسة أحد عناصر الثقافة المادية، مجلة المأثورات الشعبية، قطر، يناير ١٩٨٦م .

- نهلة عبد الله إمام، عادات الزواج فى شمال سيناء دراسة ميدانية لقبيلة الدواغره، رسالة ماچستير غير منشورة ١٩٩٤ .

- هو لتكرانس، قاموس مصطلحات الأثنولوچيا والفولكلور، ترجة محمد الجوهرى وحسن الشامى، دار المعارف، مصر، ١٩٣٠م .

- وليم لين، المصريون المحدثون سماتهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر، ترجمة عدلى طاهر نور، ط١ مطبعة الرسالة، ١٩٩٠م .

- يوسف أبو الحجاج، الخريطة العمرانية لإمارة أبو ظبى، دائرة التخطيط، إمارة أبو ظبى، دولة الإمارات العربية المتحدة، يوليو ١٩٨١م .

- الدراسة المسحيه الشاملة لدولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٧٨م .

- الكتاب الإحصائى السنوى، إمارة أبو ظبى، دائرة التخطيط، ١٩٩٤م .

- المجموعة الإحصائية السنوية، دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة التخطيط،

الإدارة المركزية للإحصاء، العدد ١٨، ١٩٩٣م .

- النشرة الإحصائية السنوية للتعليم لدولة الإمارات العربية المتحدة، إدارة منطقة العين التعليمية، قسم التخطيط والتقويم .

- المخطط الأساسى لمدينة العين وإقليمها، التقرير النهائى المجلد الثانى، مخططات التطوير المحلية، إمارة أبو ظبى دائرة تخطيط المدن، العين .

- البنك الدولى للإنشاء والتعمير، وتقرير عن التنمية فى العالم، ١٩٨٧ يونيو ١٩٨٧م.

المراجـع الأجنبيـة :

- Andrea B. Rugh, "Reveal and Cancaeal, Dress in Contemporary Egypt" American University in Cairo Press, 1980.

- Beals, Harryhoijier, "An Introduction to Anthropology" Coller Macmillan International Edition, 1971.

- Kalthem Ali Aghanem, Traditional Custumes and Jewelry of Quatari Women, 1993.

- منشـورة فـى مجلـة المأثورات الشعبية، الجزء الصادر باللغة الإنجليزية، قطر، ١٩٩٣م .

- Katherine A. Bowie, "Assessing the early observers : Cloth and the fabric of Society in 19 th Century northern Thai Kingdoms", Amercan Anthropologist. vol. 20, num 1-1993.

- Suzanne Brenner, "Reconstructing self and society : Javanese Muslim women and the veil", Amercan Anthropologist. vol. 23, num. 4, 1996.